موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٣٠)

الشجاعة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

x-٢١٥-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٠)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

x-٢١٥-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٣٠)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
توطئة	٥
الشجاعة لغةً	٧
الشجاعة اصطلاحًا	٩
حقيقة الشجاعة ومنشؤها	١٠
مكمن الشجاعة	١٥
دوافع الشجاعة	١٧
الشجاعة والصبر	٤١
الشجاعة بين الفطرة والاكتساب	٤٤
ضروب الشجاعة ومجالاتها	٥٤
الفهارس	٨٧

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرتضى جعفر تنباك
www.mtenback.com

توطئة:

الشجاعة قيمة خلقية عالية، وفضيلة من أسمى الفضائل، وهي ينبوع مكارم الأخلاق والخصال الحميدة، ومعظمها منشؤه منها ومردّه إليها؛ فالصادق شجاع لأنه لا يخشى ولا يهاب، فلا يضطر إلى الكذب، والكريم شجاع لأنّه لا يخاف الفقر والعدم، والحليم شجاع، لأنه واثق من نفسه، فلا يجد في الحلم والعفو منغصة ولا ضعفًا، والشجاع شهم نبيل ذو مروءة وحمية، يهبّ لنجدة الضعفاء والعاجزين، ويبذل روحه رخيصة دفاعًا عن الحق والفضيلة.

من أجل هذا كله، كانت الشجاعة من أبرز الأخلاق التي تحلى بها أجدادنا العرب في صحرائهم، فأحلّوها المحل الأرفع، والمكانة السامية، في سلم القيم والأخلاق والفضائل. وتسنّم الشجعان ذرا المجد والعز، فكانوا موضع إعجاب ومدح وثناء من الجميع، فتغنى الشعراء بالشجاعة والشجعان، وصاغوا بذلك أجمل القصائد وأروعها، ولعلنا لا نبالغ إن قلنا إن ديوان شعر العرب، معظمه في تمجيد الشجاعة والبطولة.

ولما جاء الإسلام، أعطى الشجاعة مفهومًا جديدًا، وبعدًا دينيًا، فسما بها إلى مرتبة رفيعة، ومنزلة سامقة، إذ جعلها جهادًا في سبيل الله لنشر الحق والعدل وليس لتحقيق مآرب شخصية ومنافع مادية.

ورتب عليها الأجر العظيم، والثواب الجزيل، وجعل منزلة الشهداء منزلة عالية لا تضاهيها منزلة.

وقد حفلت كتب التراث بهذه الفضيلة، فذكرت توصيفها، ودوافعها، وبيّنت منشأها، فمنها ماهو فطريّ، قد جبلت نفس المرء عليها، فكانت الشجاعة طبعًا له وسجيّة، ومنها ما هو مكتسب، يتطبّع بها المرء عن طريق التدريب والمران والمجاهدة.

والشجاعة مجالاتها كثيرة، ومظاهرها متعددة، فلا تقتصر على الشجاعة القتالية فحسب، بل هناك ماهو أعظم وأخطر من الشجاعة في حومة الوغى، فثمة شجاعة

www.mtenback.com

الموقف، وحسبك بها من شجاعة غيرت مجرى التاريخ في كثير من الأحيان، ومنها شجاعة الرأي والفكر، ثم شجاعة القرار، وأخيراً شجاعة الإرادة. ولكل من هذه الأنواع دوره البالغ في سعادة المجتمعات وتقدمها ورقيّها، وأمنها واستقرارها.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الشجاعة في اللغة:

يُرَدُّ معنى الشجاعة في اللغة إلى أصل واحد هو الجرأة والإقدام.

قال ابن فارس[1]: «الشين والجيم والعين أصل واحد يدل على جرأة وإقدام.. وهو باب واحد، من ذلك الرجل الشُّجاع، وهو المقدام، وجمعه شِجْعَة وشُجْعَاء».

وجاء في اللسان[2]: «شَجُعَ شَجاعة: اشتد عند البأس، والشَّجاعة: شدة القلب في البأس» فشدة القلب وقوته هي التي تدعو صاحبها إلى الجرأة والإقدام في المواقف الخطرة.

ومن يتصف بهذا الخلق يقال له[3]: «شَجاع وشِجاع وشُجاع، وأَشْجع، وشَجِعٌ وشَجِيعٌ وشِجَعَة، ويجمع على شُجْعان وشِجْعان وشَجَعَاء، وشِجْعَة، وشَجْعَة وشُجْعَة». قال طريف بن مالك[4]:

حَوْلِي فَوارِسُ مِنْ أُسَيَّدٍ شِجْعَةٌ ... وَإِذا غَضِبْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَّمُ

وقال ابن فارس[5]: «ولا يوصف به المرأة، وهو قول أبي زيد».

ومثل ذلك في اللسان[6]: «وقال أبو زيد: سمعت الكلابيين يقولون: رجل شجاع، ولا توصف به المرأة».

---

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، (١٣٦٨هـ)، ج٣، ص٢٤٧ (شجع).

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص١٧٣ (شجع).

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٤٧ (شجع).

(6) ابن منظور: اللسان، ج ص ١٧٣ (شجع).

www.mtenback.com

ولعل من ذهب إلى هذا القول كان ينظر إلى أن المرأة توصف بالحياء والخفر، وهذا ضد الجرأة والإقدام، والله سبحانه يقول في كتابه الكريم:

﴿أَوَمَن يُنشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٧].

ويقول الشاعر[٨]:

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتَالُ عَلَيْنَا ... وَعَلَى الغانِياتِ جَرُّ الذُّيُولِ

غير أن من اللغويين من جعل الشجاعة من صفات النساء، فابن فارس يقول[٩]: «وحُدِّثنا عن الخليل بإسناد الكتاب: رجلٌ شجاعٌ وامرأة شجاعة، ونسوة شجاعات».

وجاء في اللسان[١٠]: «وامرأة شَجِعة وشجيعة وشُجاعة وشَجْعاء من نسوة شجائع وشُجَعٍ وشِجاع، ونسوة شجاعات». وفي اللسان أيضًا[١١]: «والشّجعةُ من النساء الجريئة على الرجال في كلامها وسلاطتها».

والتوفيق بين القولين هو أن الشجاعة ليست من طبيعة المرأة وسجيّتها أصلاً، بل هي مجبولة على الحياء والخفر. فالشجاعة إذن صفة عارضة للمرأة وليست متأصلة فيها كالرجال، وقلما نجد امرأة تتصف بالشجاعة إذا ما وُجهت بموقف حرج، فهي ضعيفة عاجزة عن الانتصار.

---

[٧] سورة الزخرف: الآية ١٨.

[٨] ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: عيون الأخبار، شرح وضبط: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص٥٩.

[٩] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج٣، ص٢٤٧.

[١٠] ابن منظور: اللسان، ص١٣٧.

[١١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

الشجاعة اصطلاحًا:

أصل الشجاعة قوة القلب وثباته، وقال الحكماء[١٢]: «منشؤها القوة الغضبية للنفس، لأن الثبات أثر كمال تلك القوة»، فالشجاعة تتكون من قوة الجنان، والجرأة على العدو واستصغار شأنه، جاء في المنهج المسلوك[١٣]: «وحقيقة الشجاعة ثبات الجأش، وذهاب الرعب، وزوال هيبة الخصم، أو استصغاره عند لقائه»، ويقول الجرجاني[١٤]: «الشجاعة: هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها». فهذه القوة الغضبية يجب أن تعتمد على عقل وتدبير، حتى لا تؤدي إلى التهور والهلاك، فإن أدت إلى ذلك فليست شجاعة، جاء في بدائع السلك[١٥]: «إن حقيقتها الخلق الذي يصدر به الفعل المتوسط بين فعلي التهور والجبن، فمتى اعتدل بهذا التوسط فهو الشجاعة المحمودة، وإن مال إلى طرف الإفراط فهو التهور، أو إلى طرف التفريط فهو الجبن، وكلاهما مذموم».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[١٦]:

جَرى مَثَلٌ دَلَّ السَّمَاعُ مَعَ الحِجَا ... عَلَيْهِ، عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ قَدِيمُ

تَوَسَّطْ إِذا مَا شِئْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ ... كِلا طَرَفَي قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

---

(١٢) ابن الأزرق، محمد بن الأزرق الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق: محمد بن عبدالكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ج١، ص ٤٠٧.

(١٣) الشيزري، عبدالرحمن بن عبد الله: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة: علي عبدالله الموسى، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢٦٤.

(١٤) الجرجاني،علي بن محمد:التعريفات، تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، القاهرة، ص١٦٥.

(١٥) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج ١، ص ٤٠٧.

(١٦) المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

حقيقة الشجاعة ومنشؤها:

الشجاعة ليست جرأةً وإقدامًا فحسب، بل لابدَّ أن تعتمد على رأي حصيف، وتبصّر، مع حسن حيلة وتدبر. جاء في المنهج المسلوك[١٧]: «ولا بدَّ أن يتقدم هذا رأي ثاقب، ونظر صائب، وحيلة في التدبير، وخداع في الممارسة».

وهذا من الأهمية بمكان، فمن يملك قلبًا قويًا، وجرأة شديدة، ويقدم على مقارعة أقرانه، دونما تفكر وتدبر، واغتنام فرص من خصمه؛ فإنه يؤدّي بنفسه إلى هلاك محقق، ولهذا قال الرسول عليه السلام: «الحرب خدعة»[١٨] فالشجاعة التي تعتمد على جودة رأي، وحسن تصرف، وبراعة حيلة هي الشجاعة الحقة، أما إذا اعتمدت على القوة البدنية والجرأة من غير ما احتيال وتدبر وتفكر، فهي الانتحار، وفي هذا المعنى قال المتنبي، فأجاد[١٩]:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجاعَةِ الشُّجْعانِ ... هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

فَإِذا هُما اجْتَمَعا لِنَفْسٍ مَرَّةٍ ... بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكانِ

وَلَرُبَّما طَعَنَ الفَتى أَقْرانَهُ ... بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطاعُنِ الأَقْرانِ

فالرأي الصائب، والبصر الثاقب، مقدمان على الشجاعة، جاء في التذكرة الحمدونية[٢٠]: «الرأي في الحرب أمام الشجاعة»وذلك أن الرأي السديد يقود إلى

---

[١٧] الشيزري: المنهج المسلوك، ص ٢٦٤.

[١٨] البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٥٧٩ رقم (٣٠٣٠).

[١٩] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه: مصطفى السقا ورفيقاه، دار المعرفة، بيروت، ج ٤، ص١٧٤.

[٢٠] ابن حمدون، محمد بن الحسن: التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، دار صادر، بيروت ط١، (١٩٩٦م)، م٢، ص ٣٩٥.

www.mtenback.com

حسن الاحتيال ومراوغة الخصم،ففي الحيلة ما ليس في الشدة والقوة. قال حكيم يوصي ابنه[٢١]: «كن بحيلتك أوثق منك بشدتك، فالحرب حرب للمتهور، وغنيمة للمتحذر». وكان بعض الولاة إذا وجه سرية للغزو قال لأميرها[٢٢]: «اعلم أنّك مضارب الله تعالى بخلقه، فكن بمنزلة التاجر الكيس إن وجد ربحًا، وإلاّ احتفظ برأس المال، وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرًا من احتيال عدوك عليك». وكان يقول لقواده أيضًا[٢٣]: «إنّ حصن المحارب من عدوه حسن تدبيره».

فالشجاعة تتطلب رأيًا سليمًا وحكمة في التصرف، وتبصرًا في العواقب، يقول المتنبي[٢٤]:

وَكُلُّ شَجاعَةٍ في المَرْءِ تُغْني ... وَلا مِثْلَ الشَّجاعَةِ في الحَكيمِ

فالشجاع الحق هو الذي يدرس الموقف دراسة متأنية، ويفكر بحكمة لينتهز الفرص، فإن أمكنته الفرصة من خصمه انقض عليه انقضاض الصقر، وإن لم يجد فرصة تأخر، قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لمعاوية[٢٥]: «إني لأعجب لك، تتقدم حتى أقول أشجع الناس، وتتأخر حتى أقول أجبن الناس، فقال له: إني أتقدم ما كان التقدم حزمًا، وأتأخر ما كان التأخر حزمًا، كما قيل:

شُجاعٌ إِذا ما اَمْكَنَتْني فُرْصَةٌ ... وَإِلاَّ تَكُنْ لي فُرْصَةٌ فَجَبانُ

---

[٢١] المصدر السابق نفسه.

[٢٢] المصدر السابق، م٢، ص٤٢٤.

[٢٣] المصدر السابق نفسه.

[٢٤] المتنبي: الديوان، ج٣، ص١٢٠.

[٢٥] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، م٢، ص٣٩٥.

www.mtenback.com

فالشجاعة تتطلب الحذر والتيقظ، والشجاع لا يترك لخصمه ثغرة يستغلها، ولا يمكّنه من نفسه، بل يداريه ويراوغه، ويتحين الفرص من قرينه، فيكر عليه ويجندله، قال مصعب بن الزبير[٢٦]: كان علي رضي الله عنه حذرًا في الحروب شديد الروغـــان، لا يكاد أحد يتمكن منه، وكانت درعه صدرًا لا ظهر لها، فقيل له : أما تخاف أن تؤتـــى من قبل ظهرك؟ فقال: إذا مكنت عدوي من ظهري، فلا أبقى الله عليـــه إن أبقـــى عليّ».

وحسن التدبر، وانتهاب الفرص من الخصم، ليس مطلوبًا في الحرب وساحات الوغى فحسب، بل هو مقصد في كل المواقف التي تتطلب شجاعة المواجهـــة. دخـــل الإمام أبو حنيفة على أبي جعفر المنصور[٢٧]، فوجد عنده أبا العباس الطوسي – وكان ينافس أبا حنيفة – فقال الطوسي لمن حوله بصوت خفيض: اليوم أقتل أبا حنيفة وأقبل عليه قائلاً: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجـــل، لا يدري ما هو؛ أيسعه أن يضرب عنقه؟

وفطن أبو حنيفة إلى قصده، فقال: أيأمر أمير المؤمنين بالحق أم بالباطل؟ قـــال الطوسي: بالحق. قال: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه. والتفت إلى من قرب منه، وقال: أراد أن يوثقني فربطته.

والشجاع هو الذي لا يقدم على النزال إلاّ بعد روية وتفكر، وثقـــة بإصابـــة الفرصة، قال المهلب بن أبي صفرة لبنيه[٢٨]: «عليكم بالمكيدة في الحرب، فإنها أبلـــغ

---

[٢٦] الأبشيهي، محمد بن أحمد منصور: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١، (١٩٩٩م)، ج٢، ص ٧٠.

[٢٧] الجندي، عبد الحليم: أبو حنيفة، بطل الحرية والتسامح في الإسلام، دار المعـــارف، القـــاهرة، د.ت، ص٢٢١-٢٢٢.

[٢٨] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد: العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين وزميلاه، مطبعة لجنة التـــأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (١٣٦٧هـــ/١٩٤٨م)، ط٢، ج١، ص ١٢٢

www.mtenback.com

من النجدة» وكان يقول أيضًا[٢٩]: «أناة في عواقبها فوْتٌ خير من عجلة في عواقبها دَرَك».

فالشجاعة ليست قوة بطش فحسب بل هي قوة فكر، وحسن تدبر، وتبصر في العواقب، وتعتمد على حذر شديد، جاء في عيون الأخبار[٣٠]: «الحازم يحذر عدوه على كلّ حال، يحذر المواثبة إن قَرُب، والغارة إن بعد، والكمين إن انكشف، والاستطراد إن ولّى، والمكر إن رآه وحيدًا. ويكره القتال ما وجد بدًا، لأن النفقة فيه من الأنفس والنفقة في غيره من المال».

فالشجاعة تعتمد على جملة أمور مهمة، من ذكاء وفطنة ودهاء وحيلة، سئل بعض أهل التمرس بالحرب، أي المكايد أحزم؟ قال[٣١]: إذكاء العيون، وإفشاء الغلبة، واستطلاع الأخبار، وإظهار السرور، وإماتة الفَرَق، والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمن يستنصح، والاستنصاح لمن يُستَغَشّ، ولا تحويل شيء عن شيء إلاّ بسد ناحية من المراتب، وحسن مجاملة الظنون، وإشغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره.

وسئل حكيم عن وثائق الحزم في القتال، فقال [٣٢]: «مخاتلة العدو عن الرّيف، وإعداد العيون على الرصد، وإعطاء المبلغين على الصدق، ومعاقبة المتوصلين بالكذب، وألاّ تخرج هاربًا إلى قتال، ولا تضيّق أمانًا على مستأمن، ولا تشذّ عن أصحابك للبغية، ولا تشدهنّك الغنيمة عن المحاذرة».

وبهذا يتبين لنا أهمية الرأي في الشجاعة، فالشجاع هو من يملك الرأي الحصيف، والفكر الثاقب، ويكون صاحب دهاءٍ وحيلة، فيكون تقديره للموقف تقديرًا

---

[٢٩] المصدر نفسه.

[٣٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ١٩١.

[٣١] المصدر نفسه.

[٣٢] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ١٩١.

www.mtenback.com

سليمًا يقوده إلى الفوز والنجاة، وينقذه من الفشل والهلاك. ولهذا كان الحكماء يدعون إلى المشاورة في الحرب، وتدارس الموقف قبل المعركة، جاء في العقد الفريد[٣٣]: «وكان بعض أهل التمرس يقول لأصحابه: شاوروا في حربكم الشجعان من أولي العزم، والجبناء من أولي الحزم، فإن الجبان لا يألو برأيه ما يقي مُهَجَكُم، والشجاع لا يعدو ما يشد بصيرتكم، ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرة الجبان، وتهور الشجعان، فتكون أنفذ من السهم الزالج ، والحسام الوالج».

ولهذا كله كان الشجعان وقادة الجيوش، يعتمدون اعتمادًا كليًا على الرأي السديد الذي يقوم على المكايدة والاحتيال في الحرب والتمويه على العدو، فهذا الرسول ﷺ وهو أشجع الشجعان، يعتمد في حروبه وغزواته على الحيلة والتمويه، فكان[٣٤] إذا غزا قومًا أخذ طريقًا وهو يريد أخرى.

ومن أجل ذلك كانوا يستعينون في حروبهم بأصحاب الرأي ممن مارس الحرب والقتال، فتكونت لديهم خبرات وتجارب في شؤون الحروب ومكايدها. كتب عمر بن الخطاب إلى النعمان بن مُقرِّن وهو على الصائفة [٣٥]: «أن استعن في حربك بعمرو بن معد يكرب، وطليحة الأزدي، فإنّ كلّ صانع أعلم بصناعته».

ومع الأهمية البالغة للرأي في الشجاعة، فإن ذلك لا يُغني عن صلابة القلب وقوته، فالجرأة والإقدام أمران ضروريان في مواجهة المواقف الخطرة التي تتطلب شدة وصلابة وقوة بأس، جاء في التذكرة الحمدونية[٣٦]: «لكنه لا يستغني عنها - الشجاعة - ولا يتم إلاّ بها، لأن صاحب الرأي إذا عدمها ضَلّ لبه، وانخلع قلبه، فلم يتمّ له كيده، وخانه دونَه بطشه وأَيْده، والعرب تقول: الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة».

---

[٣٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١٢٣.

[٣٤] المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.

[٣٥] المصدر نفسه، ج١، ص١٢٠. والصائفة: الجيش الإسلامي الذي كان يغزو في الصيف في ذلك العهد.

[٣٦] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص٣٩٦.

www.mtenback.com

فالجبان ولو كان رأيه سديدًا، وبصرهُ نافذًا، فإنَّه يفقد ذلك ولايفيد منه إذا شعر بالخوف والخطر، قال الرسول عليه الصلاة والسلام[٣٧]: «شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع». فكأن شدة الخوف والفزع يخلع فؤاده، فلا يستطيع أن يتبيّن رشدًا من غيّ، فيقع فريسة سهلة لعدوه.

مكمن الشجاعة:

قُد يُظنّ أن الشجاعة مرتبطة بالقوة البدنية، وأنَّ من شروطها الضخامة في الجسد والبنية الصلبة، والقوة العظيمة، غير أن هذا الظن لا يوافق الحقيقة؛ لأن الشجاعة خلق باطني، من أعمال القلوب، بل أصلها ومنشؤها ثبات القلب وصلابته، وليس لها اتصال بالأبدان قوةً وضعفًا، فلربما كان الرجل يتمتع بقوة بدنية خارقة، لكنه بعيد من الشجاعة والجرأة، بل هو في غاية الجبن والخوف، ذو قلب ضعيف خائر، دائم الخفقان، كما قالت عائشة رضي الله عنها[٣٨]: «إن لله خلقًا قلوبهم كقلوب الطير،كلما خفقت الريح خفقت معها». وربما كان ذلك الضخم الجسيم يخاف من أدنى الأمور «قد جثم الموت على أحشائه، تملكه الذعر والهلع، إن أحس نبأة[٣٩] طار فؤاده، وإن طنت بعوضة طال سهاده، يفزعه صرير باب وطنين ذباب، يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح، يفر فرار الليل من وضح النهار»[٤٠].

---

[٣٧] أبو داود، سليمان الأشعث: سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ج٣، ص١٢ رقم (٢٥١١)

[٣٨] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٣٩.

[٣٩] النبأة: الصوت الخفي، أو صوت الكلاب. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٦٧. (نبأ)

[٤٠] انظر: الزمخشري، محمود بن عمر: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، ج٣، ص ٣٤٢.

www.mtenback.com

فيكون كما قال الشاعر [41]:

إِذا صَوَّتَ العُصْفُورُ طَـــارَ فُـؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ النَّابِ عِنْـــدَ الشَّـــدائِدِ

ومن أجمل ما قيل في تصوير التناقض بين ضخامة الجســـم، وضعـــف القلـــب وخوره، قول الشاعر[42]:

ضَعِيـــفُ القَلْـــبِ رِعْدِيـــــدٌ عَظِيـــمُ الخَلْـــقِ وَالمَنْظَـــــرْ

رَأَى فِـــي النَّـــوْمِ عُصْفُـــورًا فَـــوارى نَفْسَـــــهُ أَشْـــهُرْ

وربما كان ذلك الضخم الذي يبدو وكأنه عملاق، وقد ارتدى لباس الحـــرب وعدته يموت ذعرًا وخوفًا دونما قتال، إذا ما نظر إليه بطل مغوار شزرًا، أو إذا ما سمـــع باسم فارس مشهور. من ذلك ما ذكره عمرو بن معديكرب الزبيدي، عندمـــا ســـأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن أجبن رجل لاقاه، فقال[43]: «يا أمير المؤمنين كنت أشن الغارة فرأيت فارسًا لابسًا لأمة حرب، وهو راكب على فرسه، فقلت: يا بني خذ حذرك! فإنّي قاتلك لا محالة، فقال لي: ومن تكون؟ فقلت: عمرو بن معد يكـــرب. فسكت ودنوت منه، فوجدته قد مات، فهذا أجبن من لقيت».

وربما يكون الرجل ضعيفًا في بدنه، ضئيلاً في جسمـــه لا يُؤبه لمنظره تقتحمـــه العيون، إلاّ أنه يكون في غاية قوة القلب وجسارته، فيكون مقدامًا جريئًا شـــجاعًا لا يهاب المنايا، وفي هذا المعنى يقول كثير عزّة[44]:

---

[41] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٥٨.

[42] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٤٥.

[43] ابن الأزرق: بدائع السلك، ص ٤١٣.

[44] كثير عزة: ديوانه، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (١٣٩١هـ/١٩٧١م). والقالي، أبـــو علي إسماعيل بن القاسم: الأمالي، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديـــدة، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ج١، ص٤٧.

www.mtenback.com

تَـرى الرَّجُـلَ النَّحِيْـفَ فَتَزْدَرِيـهِ ... وَفي أَثْوابِـهِ أَسَـدٌ هَصُـورُ
وَيُعْجِبُـكَ الطَّرِيـرُ إذا تَـراهُ ... فَيُخْلِفُ ظَنَّـكَ الرَّجُـلُ الطَّرِيـرُ
وَقَـدْ عَظُـمَ البَعِـيرُ بِغَـيْرِ لُـبٍ ... فَـلا عَـرْفٌ لَدَيْـهِ وَلا نَكِـيرُ

فليست الشجاعة موقوفة على ذوي الجسامة والقوة البدنية، بل هي قوة القلب ورباطة الجأش، وإن كان الرجل دقيق الجرم، صغير الحجم، نقل ابن قتيبة[٤٥] عن الحرسي قوله: «رأيت من الجبن والشجاعة عجبًا، استثرنا من مزرعة في بلاد الشام رجلين يُذْريان حنطة، أحدهما أصيفر أحيمش[٤٦]، والآخر مثل الجمل عظمًا، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى، لا تدنو منه دابة إلاّ نخس أنفها، وضربها، حتى شق علينا، فَقُتل، ولم نصل إلى الآخر حتى مات فرقًا، فأمرت بهما، فبقرت بطونهما، فإذا فؤاد الضخم يابس مثل الحَشَفَةِ. وإذا فؤاد الأصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض في مثل كوز من ماء».

وقد يُجمع للرجل بين قوة القلب وقوة البدن، فهذا هو الكمال في الرجولة، والغاية القصوى في الشجاعة.

دوافع الشجاعة:

فطر الإنسان على غريزة حب البقاء، والتعلق بما يرى فيه نفعه وسعادته ولذاته. ولهذا فهو يحبُّ كلَّ ما من شأنه أن يحقق له نفعًا أو يوصل إليه لذة، وينفر بالمقابل ممّا يسبب له ألمًا أو ينتقص مما ينفعه ويفيده.

---

[٤٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٦٥.

[٤٦] الأحيمش: تصغير الأحمش، وهو دقيق الساقين، القاموس المحيط، ص٧٦٢ (حمش). والمذرى: خشبة ذات أطراف كالأصابع يُذَرّى بها الحَبّ ويُنقّى.

www.mtenback.com

وحبّ الإنسان لمنافعه ومصالحه، إذا اعتدل ولزم دائرة الإرشاد الإلهي، ييسّر لَهُ العيش في أمان وسعادة، أما إذا خرج عن تلك الدائرة، أوشك أن يورث صاحبه حبّ الاستئثار، والانفراد بكل ما يراه عند غيره من منافع وفوائد، فإذا ما وقع المرء تحت سيطرة هذا الشعور المنحرف اندفع إلى الاعتداء والطغيان، للحصول على تلك المنافع واللذائذ والاستئثار بها، فلو كان من طبيعة البشر الخنوع والاستسلام، لما يواجههم من اعتداءات، لَفَنِي هذا الجنس البشري، وكانوا كالنار التي يأكل بعضها بعضًا حتى تحور رمادًا تذروه الرياح.

ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون في طبيعة الإنسان قوة غضبية تثور للدفاع عن نفسه، إذا ما تعرض للاعتداء، أو لحماية ما يرى فيه نفعه وملذاته[٤٧].

والإنسان يعرف من غيره، كما يعرف من نفسه، حصول هذه القوة الغضبية ويحسب لها حسابًا، فيقف عند حدّه ويقطع أطماع عدوانه.

وبذلك تستطيع سفينة الوجود أن تمخر عباب الحياة، دون أن تغرقها أمواج العدوان[٤٨]، وذلك لوجود معادل موضوعي يحافظ على توازن تلك السفينة وسلامتها. فهذه القوة الغضبية هي الشجاعة التي جعلها الله عز وجل من طبيعة النفس البشرية، فكانت سر بقاء البشر واستمرار الحياة وعمران الأرض.

وبذلك تكون الشجاعة التي فُطر عليها بنو البشر هبة من الله تعالى ورحمة منه، وذلك إذا كان اندفاعها وسكونها بإرشاد العقل وتحت إشراف الحكمة، أما إذا كانت ثائرة مندفعة لأيّ سبب ولو كان تافهًا فإنها تكون مصدر دمار وهلاك، ومبعث فساد عريض في الحياة [٤٩].

---

[٤٧] انظر الحمامي، مصطفى أبو سيف: شجاعة رسول الله ﷺ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١ (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٣-٤.

[٤٨] المصدر السابق، ص ٤٧.

[٤٩] المصدر نفسه.

www.mtenback.com

ولعل هذا المعنى السامي يشير الله تعالى في قوله:﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٥٠]. وقوله أيضًا: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٥١].

ومن يتأمل هاتين الآيتين الكريمتين يجد سياق الحديث عن طغيان غاشم يريد أن يستأثر بكل ما في الوجود، فينهض للوقوف في وجهه قوى الخير لتردعه عن طغيانه وجبروته، ففي الآية الأولى، يكون جالوت رأس الطغيان ويمثل الشر العريض، فيقف في وجهه داود رمز الشجاعة والقوة الغضبية من أجل الخير العميم، فينتصر عليه ويضع حدًا لعدوانه، ويهبه الله الحكمة والعلم، في إشارة واضحة إلى أن الشجاعة الحق هي التي تعتمد على الحكمة تحت إشراف العقل.

وفي الآية الثانية، ثمة ظلم شديد، يتمثل في تهجير الناس من بيوتهم وتشريدهم لا لشيء، إلا لأنهم مؤمنون يخالفون قوى الشر في العقيدة، فلا بدّ إذن من السماح للقوة الغضبية أن تقف في وجه ذلك العدوان الغاشم، فكان ذلك سببًا في نزول آية القتال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٥٢].

فالشجاعة إذن هي القوة الكفيلة بقهر من يعترض طريق تحقيق الخير الأسمى، وهي الاستعداد للقيام بأكبر التضحيات: التضحية باللذة والسعادة، بل التضحية بحياة

---

[٥٠] سورة البقرة: الآية ٢٥١.

[٥١] سورة الحج: الآية ٤٠.

[٥٢] سورة الحج: الآية ٣٩.

www.mtenback.com

المرء. وأيًا كان الأمر، فإنها تضحية جديرة بالإشادة؛ لأن في العمل الجسور يسود الجزء الأكثر جوهرًا من وجود الإنسان، في مواجهة الجزء الأقل جوهرًا. إن جمال الشجاعة وطابعها الخير، هما اللذان يجعلان ما هو جميل وخير متحققين فيها، ومن ثم فإنها نبيلة[٥٣].

ومن هنا كان الشهداء في طليعة البشر فداءً وإخلاصًا وتضحية، فاستحقوا بذلك الخلود وإن بدوا في الظاهر أمواتًا فقدوا الحياة ونعيمها. وما أروع قول الحق تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٥٥].

«فالشجاعة تصغي لصوت المنطق، وتنفذ مقاصد العقل، إنها قدرة الروح على انتزاع الفوز في مواجهة أعتى الأخطار، إن الشجاعة تمنح العزاء وتلهم الصبر، وتبدع التجربة، وتصبح غير قابلة للتمييز عن الإيمان والأمل»[٥٦].

إنّ الشجاعة بهذا المفهوم هي استعداد المرء، لأن يحمل على كاهله كلّ المخاطر التي ينذر الخوف بمقدمها من أجل تحقيق إيجابيات أكثر زخمًا، ممّا يفرض على النفس الشجاعة قبول الشظف والكدح والألم والشدة، بل والدمار المحتمل. ودون هذا التأكيد الذاتي ما كان يمكن تحقيق الحفاظ على الحياة، أو زيادة زخمها، وكلما زادت القوة

---

[٥٣] انظر: بول تيليش: الشجاعة من أجل الوجود، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢ (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ص٢٦.

[٥٤] سورة البقرة: الآية ١٥٤.

[٥٥] سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

[٥٦] انظر: بول تيليش: الشجاعة من أجل الوجود، ص ٢٩.

www.mtenback.com

الحيوية الذاتية التي يمتلك المرء ناصيتها، ازدادت قدرته على تأكيد ذاته، رغمًا عن الأخطار التي يعلن الخوف والقلق مقدمها.

تلك هي الحقيقة الكامنة في دوافع الشجاعة، فالتأكيد البيولوجي للذات يحتاج إلى توازن بين الشجاعة والخوف، ومثل هذا التوازن موجود لدى كلّ الكائنات الحية التي تستطيع الحفاظ على وجودها وإثباته، وإذا لم يعد لتحذيرات الخوف أثر، أو فقدت آليات الشجاعة قوتها، فإن الحياة تتبدد، ذلك أن الدافع لتحقيق الأمن والكمال واليقين الذي أشرنا إليه ضروري على الصعيد البيولوجي، ولكنه يصبح مدمرًا إذا ما تجنب مغامرة التعرض للخطر والقصور وافتقاد اليقين[٥٧].

وبصورة معاكسة يغدو مطلوبًا على الصعيد البيولوجي القيام بمخاطرة لها أساسها الواقعي في ذاتنا وفي عالمنا، وذلك في الوقت الذي تعد فيه مدمرة للذات، إذا لم يكن لها مثل هذا الأساس. وبالتالي فإن الحياة تتضمن الخوف والشجاعة كليهما، إذ هما عنصران في عملية المعايشة في إطار توازن متغير ولكنه مستقر في جوهره، وما دامت الحياة تتمتع بمثل هذا التوازن فإن بوسعها أن تقاوم العدم، أما الخوف والشجاعة إذا ما اختل توازنهما فإنهما يدمران الحياة التي يعد الحفاظ عليها وتحقيق معنى وجودها؛ وظيفة التوازن بين الخوف والشجاعة[٥٨].

فالشجاعة إذا كانت تحت إشراف الحكمة، وسيطرة العقل، تعدُّ فضيلة من أسمى الفضائل وأسناها، فتحرسها وتدفع عنها كلّ من يريد أن يَمَسّها بسوء. وهي كسائر الفضائل يتفاوت حضورها في ضمائر الناس ويتباين، فكلما كان نصيب المرء منها كبيرًا صار أقرب إلى درجات الكمال ومراتب العلا، وكلما قلّ نصيبه منها انحط عن درجات الفضائل.

---

[٥٧] انظر: بول تليش: الشجاعة من أجل الوجود، ص ٧٩.

[٥٨] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وتظهر قيمة هذه الفضائل بأسمى مظاهرها إذا ما عرض عارضٌ من البغي والفساد والجبروت، وقوى الشر التي تريد أن تحطم ما هو نبيل وشريف في الحياة، وعندئذ تتطلب المواجهة والشجاعة والإقدام، فيقدم قوم ويحجم آخرون، أو تُقبل طائفة وتنكص أخرى، عندئذ ترى عيون الاستحسان والإجلال، والإعظام والإكبار وقفًا على من أقدموا وخاطروا، وقدموا أرواحهم قرابين على مذبح الحرية والنبل والطهر، وتسمع الألسنة تلهج بالثناء الحسن على أولئك الشجعان، وترى قلوب الفضلاء تودُّ أن تتفتح وتتسع ثم تتسع لتكون مقعد صدق لأولئك البواسل العظماء[٥٩].

فالشجاعة إذن وسيلة الإنسان للدفاع عن ذاته وعن مكتسباته الفردية والجماعية، والوسيلة الفريدة للدفاع عن المعاني الأخلاقية والإنسانية. إنها وإن بدت لأول وهلة سبيلاً للموت ومورداً للمنية إلاّ أنها في حقيقتها سبيل إلى الحياة الكريمة النبيلة.

لقد أدرك أجدادنا العرب حقيقة الشجاعة فاتخذوها سبيلاً للحياة، بل هي عندهم مجنٌّ يُتّقى به الموت ووسائل الدمار. ولا أدل على ذلك من قول أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد رضي الله عنهما[٦٠]: «احرص على الموت توهب لك الحياة».

إنها معادلة تبدو لأول وهلة متناقضة، ولكن من يتدبرها، ويتفكر فيها تفكراً عميقًا، يجد فيها عين الصواب والحقيقة، والعرب تقول[٦١]: «إن الشجاعة وقاية، والجبن مقتلة»، وتقول أيضًا[٦٢]: «الشجاع مُوَقّى، والجبان مُلَقّى». وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء [٦٣]:

---

[٥٩] الحمامي: شجاعة رسول الله ﷺ، ص ٤-٥.

[٦٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٠٦.

[٦١] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٠٠.

[٦٢] المصدر نفسه.

[٦٣] القرطبي، يوسف بن عبد الله النمري: بهجة المجالس وأنس المجالس، و شحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٩٨١م)، ق١، م٢، ص٤٦٨.

www.mtenback.com

وَقَدْ يَلْتَقِي الجَمْعانِ وَالمَوْتُ فِيهِما فَيُقْتَلُ مَنْ وَلّى وَيَسْلَمُ مَنْ ثَبَتْ

وأقوالهم هذه خلاصة تجربة طويلة، وتأمل بعيد في أحوال الشجعان والجبناء، ومعرفة بنتائج الحروب والمعارك، جاء في العقد الفريد[٦٤]: «واعتبر من ذلك، أن من يقتل مدبرًا أكثر مما يقتل مقبلاً».

قيل للمهلب بن أبي صفرة [٦٥]، وكان من الشجعان المعدودين: «إنَّك لتلقي نفسك في المهالك، قال: إنْ لم آت الموت مسترسلاً أتاني مستعجلاً، إني لست آتي الموت من حبه، وإنَّما آتيه من بغضه».

فكثيرًا ما أدى الفرار إلى الموت، وقاد إلى الهلاك، وكثيرًا ما أدى الإقدام إلى النجاة والفوز بحياة مديدة، قال أحد العرب [٦٦]: «الله يخلف ما أتلف الناس، والدهر يتلف ماجمعوا، وكم من منية علّتُها طلب الحياة، وحياة سببها التعرض للموت».

وفي هذا المعنى قالت الخنساء[٦٧]:

نُهِينُ النُّفُوسَ وَهُونُ النُّفُوسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ أَوْقَى لها

وذلك أن الشجاع الذي يُقدم على خصمه بكل جرأة، ويبدو مستهينًا بالموت، زاهدًا في الحياة، فإنّ خصمه يهابه، ويشعر بالرعب والخوف، فيخور عزمه ويضعف عن ملاقاته، وعندئذ ينجو الشجاع، فتكون شجاعته وجرأته وقاية له من الموت، قال أبو مسلم الخراساني[٦٨]: «أشعروا قلوبكم الجرأة عليهم، فإنّها سبب الظفر».

---

[٦٤] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٠٠.

[٦٥] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص ٤١٢.

[٦٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٠٨.

[٦٧] القرطبي: بهجة المجالس، المجلد الثاني، ص ٤٦٨.

[٦٨] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢١٨.

www.mtenback.com

وعكس ذلك عندما يَظْهر من المرء الجبن والخوف والذعر، ويحاول الفرار طلبًا للنجاة، فإنّ ذلك يزيل هيبته في نفس خصمه، فيغريه ذلك به، فيشد عليه، ويجندله، فيكون ذلك سببًا في موته وهلاكه، وما أروع قول الحُصين بن الحُمَام، الذي كان يتمثل به كثيرًا يزيد بن المهلب في الحرب[٦٩]:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[٧٠]: «كيف صرت تقتل الأبطال؟ قال: كنت ألقى الرجل فأُقَدِّر أنّي أقتله، ويقدِّر أني أقتله فأكون أنا ونفسه عونين عليه».

وقد أبدع أبو تمام في قوله [٧١]:

إِنَّ الحِمامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ دَلْوَا الحَيَاتَيْنِ مِنْ ماءٍ وَمِنْ عُشُبِ

فجعل الموت سبيل الحياة، فكأن طلب الموت سواء أكان بواسطة السيوف أم الرماح، ما هو إلاّ وسيلة حياة، وكأن السيوف والرماح سببان رئيسان لتلك الحياة التي من أبرز مقوماتها الماء والنبات.

وفي هذا المعنى كان علي رضي الله عنه يقول[٧٢]: «بقية السيف ونمى عددًا وأطيب ولدًا». يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثر عددهم ونمى ولدهم[٧٣].

---

[٦٩] ابن عبدربه : العقد الفريد، ج١، ص ١٠٤.

[٧٠] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، الجلد الثاني، ص ٤٠٠.

[٧١] أبو تمام، حبيب بن أوس: ديوان أبي تمام، شرحه وضبط معانيه: إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، (١٩٨١م)، ص٢٨.

[٧٢] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٠٢.

[٧٣] المصدر نفسه.

www.mtenback.com

وقال ابن عبد ربه تعقيبًا على هذا القول[٧٤]: «ومما يستدل به على صدق قوله: ما عمل السيف في آل الزبير، وآل أبي طالب، وما كثّر من عددهم».

وقال الزمخشري تعقيبًا على قول علي الآنف الذكر[٧٥]: «وعُوْين ذلك في ولد علي وولد المهلب، فقد قتل مع الحسين عامة أهل بيته، و لم ينج إلاّ ابنه علي لصغره، فأخرج الله من صلبه الكثير الطيب، وقتل يزيد بن المهلب وإخوته وذراريهم، ثم مكث من بقي منهم نيفًا وعشرين سنة لا يولد فيهم أنثى ولا يموت منهم غلام».

ولهذا كان المتنبي يرى أن الشجاعة والجبن مصدرهما ومبعثهما حبُّ الحياة وشدة الحرص عليها، ولكن على اختلاف في التقدير وتباين في التصور والرؤية إلى حقيقة الأمور. فالجبان يظن أنّ في اتقاء الحرب وترك القتال حياته ونجاته، ويرى الشجاع أنّ في اصطلاء نار الحرب وخوض غمارها بقاءً لنفسه وسلامة لها من الموت، يقول أبو الطيب في ذلك [٧٦]:

أَرى كُلَّنا يَبْغي الحَياةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصًا عَلَيْها مُسْتَهامًا بِها حُبّا

فَحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ التُّقى وَحُبُّ الشُّجاعِ النَّفْسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبا

وإذا لم تُحقّق الشجاعة بقاء الإنسان حيًا بجسده، فإنّها تبقيه تهب له حياة معنوية، وذلك بخلود ذكره وسيرته الحميدة، التي تظل في الذاكرة الجماعية، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، فيكون ذلك حياة ثانية له، لأن الذكر الجميل ومآثر الفتى عمر ثانٍ، يقول المتنبي [٧٧]:

---

[٧٤] المصدر نفسه، ص ١٠٣.

[٧٥] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٣١٧.

[٧٦] المتنبي: ديوانه، ج١، ص ٦٥.

[٧٧] المصدر نفسه ج٣، ص ٢٨٨.

www.mtenback.com

ذِكْرُ الفَتى عُمْرُهُ الثّـــانِي وَحاجَتُـــهُ ماقاتَهُ، وَفُضُـــولُ العَيْـــشِ أَشْـــغالُ

وقال بعض الحكماء[٧٨]: «تخليد الذكر في الكتب عمر لا يبيد، وهو كل يـــوم جديد».

فطلب الذكر الحسن، والثناء الجميل يجعلان الموت عذب المورد، فيقدم المـــرء على حياض الموت بشجاعة وجرأة، مادام ذلك سيحقق له حياة ثانية إذا مـــا ذكـــر بطيب أفعاله وجميل أعماله، قال أحد الشعراء[٧٩]:

وَإِنَّ كَرِيهَ المَـــوْتِ عَـــذْبٌ مَذاقُـــهُ إِذا ما مَزَجْناه بِطِيـــبِ مِـــنَ الذِّكْـــرِ

ومن دوافع الشجاعة، والإقدام بجرأة على حياض المنايا، عِلْم المـــرء ويقينـــه أن الأجل محتوم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٨٠]. والموت نهاية كل حيّ والحذر لا ينجي من القدر، ومن لم يمت بالسيف مات بغـــيره، والحياة لا تبقي الشجاع ولا الجبان. قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[٨١].

فالجبان لا يقيه جبنه والشجاع لا يقتله إقدامه وجرأته، ومادام الأمر كذلـــك، فمن العار والعيب أن يكون المرء جبانًا رعديدًا، وقد أبرز هذه الفكرة المتنبي بـــأروع مثال، فقال[٨٢]:

وَلَـــوْانَّ الحَيـــاةَ تَبْقَـــى لِحَـــيٍّ لَعَدَدْنَـــا أَضَلَّنَـــا الشُّـــجْعانا

---

[٧٨] المتنبي: ديوانه، ج٣، ص٢٨٨.

[٧٩] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٣٠٤.

[٨٠] سورة النحل: الاية ٦١.

[٨١] سورة النساء: الآية ٧٨.

[٨٢] المتنبي: ديوانه، ج٤، ص ٢٤١.

www.mtenback.com

وَإذا لَـمْ يَكُـنْ مِـنَ المَـوْتِ بُـدٌّ فَمِـنَ العَجْـزِ أَنْ تَكُـونَ جَبانـا

وجسّد هذه الفكرة بمثال حيّ واقعي خالد بن الوليد رضي الله عنه، عندما قال وهو على فراش الموت[٨٣]: «لقيت كذا وكذا زحفًا، فما في جسدي موضع شبر إلاّ وفيه ضربة سيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وهأنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت عيون الجبناء».

وما دام الإنسان لا يموت قبل انقضاء أجله، فلن تقوده الشجاعة إلى الموت، ولن ينجيه جبنه من قدره المحتوم. كان معاوية، يتمثل كثيرًا بقول الشاعر[٨٤]:

أَكَـانَ الجَبَـانُ يَـرى أَنَّـه سَـيُقْتَلُ قَبْـلَ انْقِضـاءِ الأَجَـلْ
فَقَـدْ تُـدْرِكُ الحادِثـاتُ الجَبـانَ وَيَسْـلَمُ مِنْهـا الشُّـجاعُ البَطَـلْ

فالجبن والنكوص عن المعركة لن يؤخرا أجلاً، والشجاعة والإقدام لن يعجّلا بدنوه، وفي ذلك يقول الشاعر[٨٥]:

فَما أَخَّرَ الإِحْجـامُ يَوْمًـا مُعَجَّـلاً وَلا عَجَّلَ الإِقْدامُ ما أَخَّـرَ القَـدَرْ

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج كل يوم بِصِفّيْن حتى يقف بين الصَفَّين ويقول[٨٦]:

أَيَّ يَوْمَـيَّ مِـنَ المَـوْتِ أَفِـرْ يَـوْمَ لا يُقْـدَرُ أَوْ يَـوْمَ قُـدِرْ
يَـوْمَ لا يُقْـدَرُ لا أَرْهَبُـهُ وَمِـنَ المَقْـدُورِ لا يُنْجِـي الحَـذِرْ

---

[٨٣] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٣٣٠.

[٨٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٥٧.

[٨٥] المصدر نفسه ج١، ص ٢٠٦.

[٨٦] ابن عبد ربه: العقد القريد، ج١، ص ١٠٥.

www.mtenback.com

ولهذا كان الشعراء يسخرون من الجبناء، ويهزؤون بهم؛ لأن جبنهم لن يقيهم من الموت، أو يطيل في أعمارهم، قال جرير[٨٧]:

قُلْ لِلْجَبَانِ إِذا تَأَخَّرَ سَرْجُهُ ... هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجِي

ولما استقرّ هذا عقيدة راسخة في النفوس، وحقيقة ناصعة لا يشوبها الباطل، فإننا نجد الشجعان عندما يحسون من أنفسهم شعور الخوف والخشية، فَتُزَيِّن لهم النكوص عن خوض المعركة ومقارعة الأقران والأبطال، نزوعًا منها إلى البقاء وحب الحياة، نجدهم عندما يحسون من أنفسهم ذلك الإحساس، يواجهونها بهذه الحقيقة الناصعة، فهذا عبد الله بن رواحة يخاطب نفسه قائلاً[٨٨]:

يا نَفْسُ إِنْ لَمْ تُقْتَلِي تَمُوتِي
إِنْ تَسْلَمِي اليَومَ فَلَنْ تَفُوتِي
أَوْ تُبْتَلَي فَطالَما عُوفِيتِ
هَذِي حِياضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتِ

وهذا قطري بن الفجاءة، يخاطب نفسه عندما أحس منها الخوف والجزع من الأبطال في ساحة الوغى، وشعر أنها تنزع إلى حب البقاء، والهروب من الموت روضها على ملاقاته بشجاعة قائلاً[٨٩]:

أَقُولُ لَها، وَقَدْ طارَتْ شَعَاعًا ... مِنَ الأَبْطالِ وَيْحَكِ لَنْ تُراعِي
فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ بَقاءَ يَوْمٍ ... عَلى الأَجَلِ الَّذي لَكِ لَنْ تُطَاعِي
فَصَبْرًا فِي مَجالِ المَوْتِ صَبْرًا ... فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاعِ

---

[٨٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١٠٥.

[٨٨] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص٤٣٨.

[٨٩] القرطبي: بهجة المجالس، القسم الأول، المجلد الثاني، ص٤٧٢.

www.mtenback.com

سَبِيلُ المَوْتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ ... وَداعِيهِ لأَهْلِ الأَرْضِ داعِي
وَمَنْ لَمْ يُعْتَبَطْ يَهْرَمْ وَيَسْقَمْ ... وَتُسْلِمْهُ المَنُونُ إلى انْقِطاعِ

وكذلك كان الشجعان، يردون على المشفقين عليهم من أهلهم ومحبيهم الذين يحاولون أن يثنوهم عن المخاطرة في خوض غمار الحروب، خوفًا عليهم من الموت والهلاك، كانوا يردون عليهم بتذكيرهم بحتمية الموت، والأجل المقدّر، فهذا عنترة بن شداد يردّ على ابنة عمه التي طفقت تحذره من الموت، محاولة إبعاده عن أتون الحرب وسعيرها، فيقول[٩٠]:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الحُتُوفَ كَأَنَّنِي ... أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحُتُوفِ بِمَعْزِلِ
فَأَجَبْتُهَا إِنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لابُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَلِ
فَاقْنَي حَياءَكِ لا أَبا لَكِ وَاعْلَمِي ... أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ
إِنَّ المَنِيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ ... مِثْلِي إِذا نَزَلُوا بِضَنْكِ المَنْزِلِ

وهو القائل أيضًا [٩١]:

وَعَلِمْتُ أَنَّ مَنِيَّتِي إِنْ تَأْتِنِي ... لا يُنْجِنِي مِنْهَا الفِرارُ الأَسْرَعُ
فَصَبَرْتُ عارِفَةً لِذَلِكَ حُرَّةً ... نَفْسِي إِذا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ

وكان الأبطال والشجعان عند ما يريدون أن يصوروا مقدار شجاعتهم، وشدة حملتهم على عدوهم، يشيرون إلى هذا المعنى، فدريد بن الصمة يصور شجاعته، وضراوة قتاله دفاعًا عن أخيه بقوله[٩٢]:

---

[٩٠] عنترة بن شداد: ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ص٢٥١ــ٢٥٢.

[٩١] عنترة: ديوان عنترة، ص ٢٦٤.

[٩٢] الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب: الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص ١٥١.

www.mtenback.com

فَطاعَنْتُ عَنْهُ الخَيْلَ حَتّى تَبَدَّدَتْ وَحَتّى عَلاني حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدُ

طِعَانَ امْرِئٍ آسى أَخاهُ بِنَفْسِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ

وعندما ظهر الإسلام، أعطى الشجاعة مفهومًا جديدًا، وهو بذل النفس في سبيل الله، والدفاع عن الدين، ونشر الحقّ، ورتب على ذلك الثواب العظيم وهو جنةٌ عرضها السموات والأرض، فكان ذلك دافعًا قويًا للشجاعة والإقدام. قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٩٣].

وجعل من يقتل في سبيل الله شهيدًا، ورتب له أعظم أجر، وجعل الشهداء أحياءً غير أموات، فقال عز وجل: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٩٤]. فكان ذلك محرضًا للشجاعة، ومظهرًا لها، وداعيًا إلى بذل النفس رخيصةً طلبًا للفوز بالشهادة وبثوابها العظيم.

وحذّر القرآن الكريم من الجبن والفرار من المعركة، وجعل ذلك من دواعي سخط الله وغضبه، وأن مصير من يفر يوم الزحف جهنم وبئس المصير، فقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[٩٥].

---

[٩٣] سورة التوبة: الآية ١١١.

[٩٤] سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

[٩٥] سورة الأنفال: الآيات ١٥-١٦.

www.mtenback.com

فكان ذلك كله سببًا لظهور طبقات من الشجعان والأبطال الميامين، الذين أبدوا ضروبًا من الشجاعة وصنوفها ممّا لم يسبقهم إليه أحد، فكان ذلك مفخرة في جبين الدهر. بما أظهره أولئك البواسل من شجاعة منقطعة النظير، في وصفها وفي غاياتها، إذ إنها لم تكن لهدف دنيوي قط، أو مطمع شخصي خسيس، بل كانت من أجل هدف أسمى، وغرض نبيل هو إحقاق الحق ونشر العدل، والقضاء على الظلم والطغيان، والشر والفساد.

وجاءت أحاديث الرسول ﷺ لتعلي من شأن الشجاعة وتحض عليها، فيتمثلها أصحابه رضوان الله عليهم، ويبدون ضروبًا من الشجاعة لا أروع ولا أنبل. وذلك أن الرسول الكريم عدّ المجاهدين في سبيل الله أفضل الناس قاطبة عدا الرسل فقد ورد في الحديث[٩٦] أن أبا سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله». وفي حديث آخر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال[٩٧]: «والذي نفسي بيده، لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيل الله، والله أعلم بمن يُكْلم في سبيله، إلاّ جاء يوم القيامة واللون لون دم والريح ريح مسك» وعن أبي هريرة أن الرسول عليه السلام قال[٩٨]: «إن في الجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض».

هذه الأحاديث الشريفة وأمثالها[٩٩]، تحرك في نفوس المؤمنين الشجاعة والاستبسال، فيقدمون على ساحات الوغى بكلّ جرأة وجسارة، مستهينين بالموت مستخفين بالحياة، طلبًا لما ينتظرهم من ثواب عظيم ورتب عليا في الفردوس العظيم.

---

[٩٦] البخاري: صحيح البخاري، ص ٥٣٨، رقم (٢٧٨٦).

[٩٧] المصدر نفسه، ص ٥٤١ رقم (٢٨٠٣).

[٩٨] المصدر نفسه، ص٥٣٩ رقم (٢٧٩٠).

[٩٩] انظر مثلاً: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، ص ٥٣٨-٥٩٠.

www.mtenback.com

والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى، منها مارواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال[100]: «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرَيَنّ الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: اللهم إنيّ اعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحدٌ إلاّ أخته ببنانه».

فما أبلغ هذا المثال في الشجاعة والفداء! إنه الإيمان الذي ملك عليه نفسه ومشاعره وجوارحه، والشوق إلى الجنة جعلاه يقدم دون خوف ولا وجل، مُرْخِصًا روحه في سبيل الله، فأصبح من الخالدين.

ومن ذلك أيضًا ما رواه أبو بكر بن أبي موسى الأشعري قال[101]: سمعت أبي رضي الله عنه، وهو بحضرة العدو، يقول: قال رسول الله ﷺ[102]: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» فقام رجل رث الهيئة، فقال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم. فرجع إلى أصحابه، فقال: أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جَفْنَ[103] سيفه فألقاه، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل.

---

(100) البخاري: صحيح البخاري، ص ٥٤٢، رقم (٢٨٠٥).

(101) النووي، أبو بكر، يحيى بن شرف: رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٤٦٠ رقم (١٣١٠).

(102) البخاري: صحيح البخاري، ص ٥٤٤ رقم (٢٨١٨).

(103) جفن السيف: غمده، القاموس المحيط ١٥٣١ (جفن).

www.mtenback.com

ومن ذلك أيضًا ما رواه أنس رضي الله عنه، قال[١٠٤]: «انطلق رسول الله ﷺ، وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله ﷺ: لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض. قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: نعم. قال بَخٍ بَخٍ[١٠٥]. فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قول بخ بخ؟ قال: لا والله يا رسول الله إلاّ رجاء أن أكون من أهلها. قال: فإنّك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل».

إنّ مثل هذه المواقف البطولية، التي تتجلى فيها الشجاعة بأسمى معانيها وأروع أمثلتها، كانت عامّة في حياة المسلمين الأوائل، ولو تقصى باحث تلك المواقف لألف المجلدات الضخمة لكن يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وكان الباعث الأول لمثل تلك الشجاعة هو ما غرسه الإسلام في نفوس العرب من حب التضحية بالنفس طلبًا للشهادة في سبيل الله لنشر دين الحق والعدل والسلام، وشوقًا إلى جنة عرضها السموات والأرض.

ومن دواعي الشجاعة وأسبابها، دفع الظلم والذّل عن النفس، وطلب العز والمجد. والعربي يأبى الظلم، ويأنف الذل، ويسعى جاهدًا للعز والحياة الشريفة الكريمة، وفي سبيل ذلك يخوض غمار الموت ضاربًا أروع مثل للشجاعة والإقدام، وبذل النفس في طلب العز والفخار، وقد أدرك من واقع حياته أنه لا سبيل إلى ذلك إلاّ بالقوة والشجاعة وحمل السلاح. فمن أقوالهم المأثورة[١٠٦]: «لا مجد أسرع من مجد

---

[١٠٤] النووي: رياض الصالحين، ص ٤٦٢- ٤٦٣.

[١٠٥] بخ بخ: كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء، القاموس المحيط ص ٣١٧ (بخ).

[١٠٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢١٣.

www.mtenback.com

السيف». ويصور أحد الشعراء عدم قبول الحر الكريم الظلم، والاستكانة إليه، فيقول[١٠٧]:

إيَّاكَ مِنْ ظُلْمِ الكَرِيمِ فَإنَّهُ مُرٌّ مَذاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ
إنَّ الكَرِيمَ إذا رَآكَ ظَلَمْتَهُ ذَكَرَ الظُّلامَةَ بَعْدَ نَوْمِ النُّوَّمِ
فَجَفا الفِراشَ وَباتَ يَطْلُبُ ثَأْرَهُ أَنِفًا وَإنْ أَغْضَى وَلَمْ يَتَكَلَّمِ

ويبين لنا عنترة أنّه سمح المخالقة، طيب المعشر، لكنه إذا ما ظلم فإنه يتحول إلى مارد جبار لا يُطاق، فيقول[١٠٨]:

أَثْنِي عَلَيَّ بِما عَلِمْتِ فَإنَّني سَمْحٌ مُخالَقَتِي إذا لَمْ أُظْلَمِ
فَإذا ظُلِمْتُ فَإنَّ ظُلْمِي باسِلٌ مُرٌّ مَذاقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ

وكان العرب يأنفون من كل ما يهين النفس أو يذلها، ولا يعدلون بالعز شيئًا مهما كان مغريًا، قال علي رضي الله عنه[١٠٩]: «وأكرم نفسك عن كلّ دنية وإن ساقتك إلى الرغائب، فإنّك لا تعتاض بما تبذل من نفسك عوضًا، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا».

وكان الشجعان أباة الضيم يقارنون بين الحياة بذل وهوان، والموت بعز وكرامة، فسرعان ما يختارون الثاني على الأول مهما كان مرًّا، فهذا زيد بن علي يقدم على القتل، وهو يتمثل بقول الشاعر[١١٠]:

---

[١٠٧] البيهقي، إبراهيم محمد: المحاسن والمساوئ، قدم له وحققه: محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، ص٥٣٣.

[١٠٨] عنترة بن شداد: ديوان عنترة، تحقيق: بدر الدين حاضري، ومحمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت-حلبن ط١، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٢٠٥.

[١٠٩] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص٤-٧.

[١١٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٨٨.

www.mtenback.com

أَذُلُّ الحَيـــاةِ وَعِـــزُّ المَمـــاتِ وَكُـــلاًّ أَراهُ طَعامًـــا وَبِيـــلا
فَـإِنْ كَـانَ لابُـدَّ مِـنْ وَاحِـدٍ فَسِيرُوا إِلى المَـوْتِ سَـيْرًا جَمِيـلا

وعنترة يقول [١١١]:

لا تَسْـقِنِي كَـأْسَ الحَيـاةِ بِذِلَّـةٍ بَلْ فَاسْقِنِي بِـالعِزِّ كَـأْسَ الحَنْظَـلِ

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، إذ كانوا يرون أن النفس الأبيّة لا تعـدّ صاحبهـا صائنًا لها من الذل، ذائدًا عنها كلّ ما يجلب العار، إن لم يكن مستعدًا لبذلها في سـبيل عزتها وكرامتها؛ لأن بقاءها في الذل لا يعدّ حياة، وقد أبدع المتنبي في تصويـر هـذه الفكرة، إذ قال[١١٢]:

كَأَنَّ نَفْسَكَ لا تَرْضَـاكَ صاحِبَهـا إِلاَّ وَأَنْتَ عَلـى المِفْضـالِ مِفْضـالُ
وَلا تَعُـدُّكَ صَوّانًـا لَمُهْجَتِهـا إِلاَّ وَأَنْتَ لَها فِـي الـرَّوْعِ بَـذّالُ

فالحرّ الأبيُّ يلقي بنفسه في أتون المعارك، ولا يهاب المنايا، لكنه لا يمكن أن يقبل الذل والهوان أو يرضى به، ولو كلفه ذلك حياته، وفي هذا المعنى يقول المتنبي[١١٣]:

غَـيْرَ أَنَّ الفَتـى يُلاقِـي المَنايـا كالحَـاتٍ وَلا يُلاقِـي الهَوانـا

وذلك أنّهم لا يعدون من مات وهو عزيز النفس مكرّم ميتًا إنّما الميت هو الذي يحيا ذليل النفس محتقرًا، لا مجد له ولا فخر، فهذا هو الميت الحقيقي، وإن كـان حيًـا يرزق، يقول عدي بن رعلاء الغساني[١١٤]:

---

[١١١] عنترة بن شداد: ديوان عنترة، ص ٢٥٢.

[١١٢] المتنبي: ديوانه، ج٣، ص ٢٨٦-٢٨٧.

[١١٣] المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤١.

[١١٤] الأصمعي: الأصمعيات، ص ١٧١.

www.mtenback.com

لَيْسَ مَنْ مَـــاتَ فَاسْـــتَراحَ بِمَيِّـــتٍ إِنَّمـــا المَيْـــتُ مَيِّـــتُ الأَحْيَـــاءِ
إِنَّمـــا المَيْـــتُ مَـــنْ يَعِيـــشُ ذَلِيـــلاً سَـــيِّئًا بالُـــهُ قَلِيـــلَ الرَّجَـــاءِ

والعرب لاعتدادهم بأنفسهم، لا يقبلون المسبّة، ولا يستسيغون سماع كلمات التجريح أو الإهانة، وهم مستعدون لبذل أرواحهم دفعًا لأيّ معرّة أو منقصة تلحق بهم، يقول قيس بن الخطيم [١١٥]:

وَكُنْتُ امْرَأً لا أَسْمَعُ الدَّهْرَ سُبَّةً أُسَبُّ بِهـــا إِلاَّ كَشَـــفْتُ غِطاءَهـــا
وَإِنِّي فِي الحَـــرْبِ العَـــوانِ مُوَكَّـــلٌ بِإِقْدامِ نَفْـــسٍ مـــا أُرِيـــدُ بَقاءَهـــا

من أجل هذا كله، عدَّ بعضهم أن دفع الذل عن النفس من أقوى دوافع الشجاعة، والصبر على لقاء العدو، فكان يقال[١١٦]: «لا يصدق ويصبر في اللقاء إلاَّ ثلاثة: مستنصر في دين، أو غيران على حرمه، أو ممتعض من ذل». وكانوا يقولون[١١٧]: «ضربة بسيف في عزّ خير من لطمة في ذل».

وفي هذا المعنى يقول الجحّاف بن حكيم[١١٨]:

نُعَـــرِّضُ لِلطِّعَـــانِ إِذا الْتَقَيْنَـــا خُـــدُودًا لا تُعَـــرَّضُ لِلّطَـــامِ

وقد أدركوا إدراكًا لا يخامره أدنى شك، أنَّه لا يدفع الظلم، ولا يرفع الحيف عن الإنسان، ولا يحميه من الذل والإرغام والإهانة إلاَّ الشجاعة والجرأة والإقدام، وفي ذلك يقول عمرو بن براقة الهمداني[١١٩]:

كَذَبْتُـــمْ وَبَيْـــتِ اللهِ لا تَأْخُذُونَهـــا مُراغَمَـــةً مـــادامَ لِلسَّـــيْفِ قَـــائِمُ

---

[١١٥] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص ٤٠٥.

[١١٦] المصدر السابق، ص ٤٢٤.

[١١٧] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٠٧.

[١١٨] المصدر السابق نفسه.

[١١٩] المصدر السابق، ج١، ص ١١٩.

www.mtenback.com

مَتى تَجْمَعِ القلْبَ الذَّكِيَّ وَصارِمًـــا وَأَنْفًـــا حَمِيًّـــا تَجْتَنِبْـــكَ المَظـــالِمُ

أمّا من أخلد إلى الدنيا واستمرأ الحياة وأحبّ متاعها، وركن إلى نعيمها الفاني ومتعها المادية، فإنّه يعيش في ذل ومهانة، ويحتمل الجور والظلم. يصور القرآن الكريـــم حال هؤلاء الذين رضوا بالحياة الدنيا في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[120].

إنّ من يستعذب الحياة الدنيا ونعيمها، يُروَّض على الذل والهوان، وترك الشجاعة والإقدام. جرى بين زيد بن علي وهشام بن عبد الملك كلام موحش فقام زيـــدٌ وهـــو يقول[121]: «من استشعر حبَّ البقاء استكثر الذّل إلى الفناء» فلما خرج قال ابنه يحيى:

يا بْنَ زَيْدٍ أَلَيْـــسَ قَـــدْ قَـــالَ زَيْـــدٌ مَنْ أَحَـــبَّ الحَيَـــاةَ عَـــاشَ ذَلِيـــلا

كَنْ كَزَيْـــدٍ فَـــأَنْتَ مُهْجَـــةُ زَيْـــدٍ تَتَّخِذْ فِـــي الجِنَـــانِ ظِـــلاًّ ظَلِيـــلا

وكان خوفهم من معرة الفرار، وما يلحق بالفارين من عار و شنار لا يمحى مدى الدهر، دافعًا قويًا إلى الشجاعة ومصاولة الأقران، ومن أقوالهـــم المـــأثورة: «المنيـــة ولا الدنية»[122]، وكان عليّ رضي الله عنه يوم صفين يخاطب أنصاره، قائلاً[123]: «فعاودوا الكر، واستحيوا من الفر، فإنّه عار في الأعقاب، ونار يوم الحساب».

---

(120) سورة التوبة: الآية ٢٤.

(121) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٣٣٧.

(122) الأبهري، عبيد الله بـــن محمـــد: حدائـــق الأدب، تحقيـــق: محمـــد ســـليمان الســـديس، ط٢، (١٤١٦هـــ/١٩٩٥م)، ص ٢٥٣.

(123) الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٤٠٧.

www.mtenback.com

ويقول عامر بن الطفيل[١٢٤]:

وَأَنْبَأْتُـــهُ أَنَّ الفِـــرارَ خَزَايَـــةٌ عَلى المَرْءِ ما لَمْ يُبْلِ جَهْـــدًا فَيُعْـــذَرِ

وما دام الفرار عارًا فلابدّ إذن من المواجهة والمصاولة مهمـــا كـــانت النتيجـــة والعاقبة، تقول امرأة من كندة تصف شجعانًا فضلوا الموت على الفرار[١٢٥]:

أَبَوْا أن يَفِرُّوا وَالقَنا فِـــي نُحُورِهِـــمْ وَلَمْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ المَوْتِ سُـــلَّما

وَلَوْ أَنَّهُـــمْ فَـــرُّوا لَكـــانُوا أَعِـــزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْ صَبْرًا عَلى المَوْتِ أَكْرَمـــا

وهذا أبو دُلَف يفتخر بخوضه غمار المنايا، وعدم الفرار منها، فيقول[١٢٦]:

وَقَـــدْ عَلِمَـــتْ وَائِـــلٌ أَنَّنـــا نَخُوضُ الحُتُـــوفَ غَـــداةَ الحُتُـــوفِ

وَلا نَتَّقِيهـــا بِزَحْـــفِ الفِـــرارِ إِذا ما الصُّفُوفُ انْـــبَرَتْ لِلصُّفُـــوفِ

وكانوا لا يرون نافيًا للعار وماحيًا له إلاّ السيف، وإن أدى ذلك إلى مضار مادية كبيرة، فهذه لا تعادل شيئًا أمام التخلص من العار أو المذمة، يقول سعد بـــن ناشـــب المازني[١٢٧]:

سَأَغْسِلُ عَنّي العارَ بِالسَّـــيْفِ جَالِبًـــا عَلَيَّ قَضَـــاءُ اللهِ مـــا كـــانَ جالِبـــا

وَأَذْهَلُ عَنْ دارِي وَأَجْعَـــلُ هَدْمَهـــا لِعِرْضِيَ مِنْ بـــاقِي المَذَمَّـــةِ حاجِبـــا

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلادِي إِذا انْثَنَـــتْ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْـــتُ طالِبـــا

---

[١٢٤] عامر بن الطفيل: ديوان عامر بن الطفيل، دار صـــادر، دار بـــيروت للطباعـــة والنشـــر، بـــيروت (١٣٧٩هـــ/١٩٥٩م)، ص٦٢.

[١٢٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢٨٧.

[١٢٦] المصدر السابق، ج١، ص٢٩٠.

[١٢٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢٨٤-٢٨٥.

www.mtenback.com

عَلَيْكُمْ بِـــدارِي فَاهْدِمُوهـــا فَإِنَّهـــا تُراثُ كَرِيـــمٍ لا يَخـــافَ العَواقِبـــا

ومن حوافز الشجاعة طلب الثناء والذكر الحميد، ولهذا يستعذبون الموت مادام يعقب ذكرًا حسنًا ومدحًا ينتقل عبر الأجيال، يقول الشاعر[١٢٨]:

وَإِنَّ كَرِيهَ المَـــوْتِ عَـــذْبٌ مَذاقُـــهُ إِذا ما مَزَجْناهُ بِطِيـــبٍ مِـــن الذِّكْـــرِ

ويصور لنا أحد الشعراء، كيف تحول صاحبه من حالة الخوف والذعـــر مـــن الحرب إلى حالة الإقدام والكر على الأعداء، لمجرد أن ذكره بحسن الثناء وطيب الذكر اللذين سيجلبهما له إقدامه وشجاعته، فيقول[١٢٩]:

بَكى صَاحِبي لَمّا رَأَى المَوْتَ فَوْقَنـــا مُطِلاًّ كَإِطْلالِ السَّحابِ إِذا اكْفَهَـــرْ
فَقُلْـــتُ لَـــهُ: لا تَبْكِ عَيْنُـــكَ إِنَّمـــا يَكُونُ غَدًا حَسْنُ الثَّناءِ لِمَـــنْ صَـــبَرْ
فآسَى عَلى حالٍ يَقِلُّ بِهـــا الأَســـى وَقاتَلَ حَتّى اسْتَبْهَمَ الوَرْدُ وَالصَّـــدَرْ
وَكَرَّ حِفاظًا خَشْـــيَةَ العـــارِ بَعْدَمـــا رَأَى المَوْتَ مَعْرُوضًا عَلى مَنْهَجِ المَكَرْ

يمتزج حبّ الثناء والمدح بالدفاع عن المآثر والأعراض، ويصور لنا عمرو بـــن الإطنابة كيف كان يقدم على المواقف الصعبة الحرجة، وكيف كان يصبر نفسه علـــى اقتحام غمرات الموت، طلبًا للمحامد ودفاعًا عن المآثر، فيقول[١٣٠]:

أَبَـــتْ لِـــي عِفَّتِـــي وَأَبَـــى بَلائِـــي وَأَخْـــذِي الحَمْـــدَ بِـــالثَّمَنِ الرَّبِيـــحِ
وَإِقْدامِـــي عَلـــى المَكْـــرُوهِ نَفْســـي وَضَرْبِـــي هامَـــةَ البَطَـــلِ المُشِـــيحِ
وَقَوْلِي كُلمـــا جَأَشَـــت وجاشَـــت مَكـــانَكِ تُحْمَـــدِي أَوْ تَسْـــتَرِيحِي

---

[١٢٨] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٣٠٤.

[١٢٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٠٦.

[١٣٠] المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٧.

www.mtenback.com

لأَدْفَعَ عَنْ مَآثِرَ صالِحاتٍ وَأَحْمِيَ بَعْدُ عَنْ عِرْضِي صَحِيحِ

وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه عنه يتمثل بهذه الأبيات كثيرًا [١٣١].

وكان الدفاع عن الحريم والأعراض، من أبرز حوافز الشجاعة ودواعيها، وقد مر معنا قبل قليل، قول العرب[١٣٢]: «لا يصدق ويصبر في اللقاء إلاّ ثلاثة» وكان من بينهم الغيران على حرمه، فالعربي يبذل روحه رخيصة دفاعًا عن محارمه، ونساء قبيلته، وخوفًا من أن يقعن سبابا للأعداء، يقول عنترة [١٣٣]:

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بِالفَرُوقِ نِساءَنا نُطَرِّفُ عَنْها مُشْعِلاتٍ غَواشِيا

أَبَيْنا أَبَيْنا أَنْ تَضِبَّ لَثاتُكُمْ عَلى مُرْشِفاتٍ كَالظِّباءِ عَواطِيا

فالعربي صاحب غيرة وشرف، يقذف بنفسه في أتون المعركة، ويتعرض لمقارعة الفوارس والأبطال ذبًّا عن الأعراض، يقول عنترة أيضًا[١٣٤]:

وَمُغِيرَةٍ شَعْواءَ ذَاتِ أَشِلَّةٍ فِيها الفَوارِسُ حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

فَزَجَرْتُها عَنْ نِسْوَةٍ مِنْ عامِرٍ أَفْخاذُهُنَّ كَأَنَّهُنَّ الخَرْوِعُ

وكانت حماية الجار من الأمور التي يرخص العربي روحه في سبيلها، ويخوض المعارك الشرسة دفاعًا عمن استجار به، وكان يدافع عنه كدفاعه عن نفسه أو عشيرته. سأل عبد الملك بن مروان جُعيل بن علقمة الثعلبي[١٣٥]: «ما مبلغ حفظكم؟ قال: يدفع الرجل منّا عمن استجار به، من غير قومه، كدفاعه عن نفسه».

---

[١٣١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص٢٠٦ .

[١٣٢] انظر ماتقدم ص٣٧.

[١٣٣] عنترة: ديوان عنترة، ص ٢٢٤-٢٢٦.

[١٣٤] المصدر السابق، ص ٢٦٤.

[١٣٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٣٥.

www.mtenback.com

وكانت العرب تمتدح بالذّب عن الجار، فيقولون[١٣٦]: «فلان منيع الجار، حامي الذمار، وبلغ من اعتزازهم بحماية الجار، أنّ منهم من كان يحمي الجراد إذا نزل في جواره، فسمي بجير الجراد»[١٣٧].

قالَ مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة وقومه بحماية جارهم[١٣٨]:

هُمُ القَوْمُ إنْ قالُوا أصابُوا وَإنْ دُعُوا ... أَجابُوا وَإنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

هُمو يَمْنَعُونَ الجَارَ حَتّى كَأَنَّهُ ... لِجارِهِمُ بَيْنَ السَّماكَيْنِ مَنْزِلُ

وقال آخر[١٣٩]:

هَمُو يَمْنَعُونَ الجارَ حَتّى كَأَنَّهُ ... كَتِيبَةُ زَوْرٍ بَيْنَ خافِيَتَيْ نَسْرِ

الشجاعة والصبر:

ترتبط الشجاعة ارتباطًا وثيقًا بالصبر، فكلما زاد صبر المرء زادت شجاعته، قال ابن القيم[١٤٠]: «وهو - يعني خلق الشجاعة - يتولد من الصبر، وهو خلق حسن الظن، فمتى ظن الظفر، وساعده الصبر ثبت».

وحينما يفقد الشجاع عنصر الصبر، يفقد شجاعته، عندما يُواجه بالشدائد والعقبات والآلام التي لا صبر له على تحملها، فقد يبدأ معركته شجاعًا لكنه ينتهي جبانًا، لأنّه فَقَدَ عنصر الصبر، وذلك أن الصبر على المكاره التي يجرها الإقدام والجرأة، هو الذي يحافظ على استمرار الشجاعة إلى النهاية. وكان يقال: «النصر مع الصبر»[١٤١]،

---

(١٣٦) ابن عبد ربه العقد الفريد، ج١، ص١٣٥.

(١٣٧) المصدر السابق نفسه.

(١٣٨) المصدر السابق نفسه.

(١٣٩) المصدر السابق نفسه.

(١٤٠) ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص ٤٠٨.

(١٤١) ابن قتيبة: العقد الفريد، ج١، ص ٢٠٦.

www.mtenback.com

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبني عبس[١٤٢]: «فكيف كنتم تقهرون من ناوأكم، ولستم بأكثر منهم عدداً ولا مالاً؟ قالوا: كنا نصبر بعد اللقاء هنيهة، قال: فلذلك إذن».

فالصبر من أقوى الأسباب التي تمدُّ الشجاعة بالاستمرار، وتمدّ الشجعان بالثبات والإقدام في ساحة المعركة، ولذلك جعله الله سبحانه عنصراً أساسيًا من عناصر النصر في المعارك، فقال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[١٤٣] وقال تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١٤٤] ودعا المؤمنين إلى الصبر والتصبر والمرابطة في سبيل الله، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١٤٥].

فالصبر ومغالبة النفس عليه، من أبرز عوامل النصر، ومن ثم الفوز والفلاح. فالذي يملك بين جنبيه قلبًا شجاعًا جريئًا، ولكنه يفتقد عنصر الصبر، فإنّه لايحقق نصرًا، مهما كان يملك من العدد والعتاد، بل تنقلب شجاعته إلى جبن وفرار من المعركة، الذي هو في الحقيقة فرار من تحمل المشاق وآلام المقارعة، جاء في عيون الأخبار[١٤٦]: «قَدِمَتْ منهزمة الروم على هرقل وهو بأنطاكيّة، فدعا رجالاً من

---

[١٤٢] المصدر السابق نفسه.

[١٤٣] سورة الأنفال: الآية ٦٥.

[١٤٤] سورة الأنفال: الآية ٦٦.

[١٤٥] سورة آل عمران: الآية ٢٠٠.

[١٤٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٠٨-٢٠٩.

www.mtenback.com

عظمائهم، فقال: ويحكم أخبروني ماهؤلاء الذين تقاتلونهم؟ أليسوا بشراً مثلكم؟، قالوا: بلى: يعني العرب. قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: ويلكم! فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟ فسكتوا، فقال شيخ منهم: أنا أخبرك، أيها الملك، من أين تُؤْتَوْن. قال: أخبرني. قال: إذا حملنا عليهم صبروا وإذا حملوا علينا صدقوا، ونحمل عليهم فنكذب، ويحملون علينا فلا نصبر»

وكان خالد بن الوليد يسير بين الصفوف ويشجّع المقاتلين، ويحضهم على القتال، ويقول[١٤٧]: «يا أهل الإسلام، إن الصبر عز، وإن الفشل عجز، وإن النصر مع الصبر»

ومن أجل ذلك نجد الشجعان يفتخرون بالصبر في ساحة المعركة، يقول الحصين بن الحمام[١٤٨]:

وَلَمّا رَأَيْنا الصَّبْرَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ ... وَإِنْ كانَ يَوْمًا ذا كَواكِبَ مُظْلِما

صَبَرْنا وَكانَ الصَّبْرُ مِنّا سَجِيَّةً ... بِأَسْيافِنا يَقْطَعْنَ كَفًّا وَمِعْصَما

وقال نهشل بن حري بن ضمرة[١٤٩]:

وَيَوْمٍ كَأَنَّ المُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ نارٌ قِيامٌ عَلَى الجَمْرِ

صَبَرْنا لَهُ حَتّى يَبُوخَ[١٥٠] وَإِنَّمَا ... تُفَرَّجُ أَيّامُ الكَرِيهَةِ بِالصَّبْرِ

وكان الشجعان والأبطال يصبّرون أنفسهم على تحمل حرّ القتال ومكروهه، كلما أحسوا منها نزوعًا إلى الجبن أو الفرار، ويحضون أنفسهم على المصابرة واقتحام المكاره.

---

[١٤٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١،ص ٢٠٨.

[١٤٨] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص ٤٠٠.

[١٤٩] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٠٦.

[١٥٠] يبوخ: يَسْكُن، القاموس المحيط، ص ٣١٨ (باخ).

www.mtenback.com

الشجاعة بين الفطرة والاكتساب:

الشجاعة غريزة وهبها الله بعض النفوس الكريمة، فتجدها قد فطرت على الجرأة والإقدام، وثمة نفوس فطرت على الجبن والخوف، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١٥١]: «إن الشجاعة والجبن غرائز في الرجال تجد الرجل يقاتل عمن لايبالي ألاّ يؤوب إلى أهله، وتجد الرجل يفرّ عن أبيه وأمه، وتجد الرجل يقاتل ابتغاء وجه الله، فذلك هو الشهيد».

وفي هذا المعنى يقول الشاعر[١٥٢]:

يَفِرُّ الجَبانُ عَنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَيَحْمِي شُجاعُ القَوْمِ مَنْ لا يُناسِبُهْ

فمن فطر على خلق الشجاعة، يندفع بجرأة وبسالة في مخاطرة يرجو منها خيراً أو دفع شر، ومن فطر على الجبن، فإن نفسه تقوده إلى النكوص والتخاذل، ويرضى بالذل والهوان، مع علمه أن هذا سلوك مذموم، يقول المتنبي[١٥٣]:

وَكُلٌّ يَرى طُرُقَ الشَّجاعَةِ وَالنَّدى وَلَكِنَّ طَبْعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قائِدُ

وكما يتفاوت الناس شجاعة وجبناً، فإن الشجعان يتفاوتون أيضاً في نسب الشجاعة، فنجد بعضهم أشجع من بعض، وكذلك الجبناء يتفاوتون في نسب الجبن، فترى بعضهم أكثر جبناً من بعض.

غير أن من طبيعة النفس البشرية القدرة على اكتساب الأخلاق، والتطبع بطباع لم تكن رُكّبت فيها، وذلك عن طريق الرياضة النفسية، فالمفطور على الجبن يستطيع أن يكتسب بالرياضة المقترنة بالإرادة والتصميم مقداراً من خُلُق الشجاعة، قد لايبلغ به

---

[١٥١] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٦٥.

[١٥٢] المصدر السابق نفسه.

[١٥٣] المتنبي: ديوانه، ج١، ص ٢٧٦.

www.mtenback.com

مبلغ من فُطِر على الشجاعة، ولكنه مقدار يكفيه لتحقيق مايجب عليه من أن يكون شجاعًا. جاء في بدائع السلك[١٥٤]: «إن الأخلاق قابلة للتغيير بطريق الرياضة، فالغالب عليه خلق الجبن، سبيله في التحول عنه إلى خلق الشجاعة أن يكثر من ارتكاب مخوف الفعل مرة بعد أخرى، حتى يصير ذلك عادة وطبعًا. ولا استبعاد في ذلك، لما يشاهد من إيقاع الألفة بين المتعادين من الحيوان العجم طبعًا كالهر والفأر. قال صاحب «مشارع الأشواق»: شاهدت مرارًا الفأر يركب على الهر، وينزل ويعود مرارًا، ولايعدو الهر على الفأر ولاينفر الفأر من الهر، وذلك بالتعليم والتدريج في الإقدام، حتى ينعكس الطبع إلى ضده - قال -: والإنسان أولى بقبول التعليم وسرعة التحول في الأخلاق.

فالتدريب العملي وسيلة ناجعة لاكتساب خلق الشجاعة، ويكون بوضع الإنسان في موقف حرج، ومأزق شديد، فعندئذ لايجد أمامه إلا أن يتشجع ويقدم، وإذا ماكُرِّرَ مثل هذا الموقف فإنَّه يكتسب هذا الخلق النبيل. فَيَغدو من الشجعان. جاء في عيون الأخبار[١٥٥]: «وكان في بني ليث رجل جبان بخيل، فخرج رهطه غازين، وبلغ ذلك أناسًا من بني سليم، وكانوا أعداء لهم، فلم يشعر الرجل إلاَّ بخيلٍ قد أحاطت بهم، فذهب يفرّ فلم يجد مَفَرًّا، ووجدهم قد أخذوا عليه كل وجه، فلما رأى ذلك جلس ثم نثل كنانته وأخذ قوسه وقال:

مَا عِلَّتِي وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ
وَالقَوْسُ مِنْ نَبْعٍ لَهَا بَلابِلُ
يَرُزُّ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ
إِنْ لَمْ أُقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلُ

---

[١٥٤] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص ٤٠٨.

[١٥٥] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٦٤.

www.mtenback.com

أَكُــلَّ يَــوْمٍ أَنــا عَنْكُــمْ نَــاكِلُ
لا أُطْعِــمُ القَــوْمَ وَلا أُقــاتِلُ
اَلْمَــوْتُ حَــقٌّ وَالحَيــاةُ بــاطِلُ

ثم جعل يرميهم حتى ردهم، وجاءهم الصريخ، وقد مُنع الحيُّ، فصار بعد ذلك شجاعًا سمحًا معروفًا.

أرأيت كيف تحول هذا الجبان إلى رجل شجاع، عندما وجد نفسه في موضع حرج، وليس أمامه منفذ للهرب، فلم يعد بوسعه إلا الاعتماد على النفس والقتال، ومن ثم الانتصار. فمثل هذا الموقف يعطي الإنسان ثقة بالنفس كبيرة، تتغلب على نوازع الجبن والفرار.

وفي هذا المعنى يقول الشيزري[١٥٦]: «وإن لم تكن - يعني الشجاعة - له طبعًا فيتطبع بها ليحسم بهيبته مواد الأطماع المتعلقة بقلوب نظراته، ويحصل منه حماية البيضة».

ويقودنا هذا إلى وسيلة أخرى من وسائل اكتساب الشجاعة، وهي تخليص الإنسان الجبان من الأوهام التي تثير لديه رعبًا وجبنًا، ولعل تلك الأوهام لا حقيقة لها، فمتى تخلص الإنسان من تلك الأوهام عن طريق التدريب، والتلقين، وممارسة الوقائع، يكون قد تخلص من مثيرات الجبن والذعر، فيصبح شجاعًا مقدامًا.

وللتدريب العملي أهمية قصوى في اكتساب الأخلاق والمهارات ، ودليل ذلك[١٥٧] أن أهل البادية يتمتعون بشجاعة نادرة في اجتياز المفازات ومقارعة أهوالها، وذلك أنهم وجدوا أنفسهم وجهًا لوجه أمام كثير من التحديات والعقبات، وهم

---

[١٥٦] الشيزري: المنهج المسلوك، ص ٢٦٣.

[١٥٧] انظر: الميداني، عبد الرحمن بن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ج٢، ص٥٦٨ بتصرف.

www.mtenback.com

يواجهون ذلك دائمًا، فلم يكن أمامهم من سبيل إلاّ مواجهتها بالجرأة والإقدام والشجاعة، فلم تعد تثير لديهم القلق والخوف، بينما نجد أهل المدن لما ركنوا إلى الدعة والراحة، وليس هناك ما يتحداهم وليسوا مضطرين إلى ركوب مثل تلك الأهوال، فإن خلق الشجاعة لديهم في مثل تلك المواقف أقل مما هو عند أهل البادية.

كما أنّ سكان الجبال يتمتعون بشجاعة في ارتقاء شواهقها واجتياز عقباتها، ونجد سكان الجزر البحرية والسواحل يتمتعون بشجاعة ركوب البحار، وخوض غمارها ومصارعة أمواجها، وماذاك إلا بسبب التدريب العملي الذي يمارسونه بحكم بيئتهم التي تفرض عليهم ظروفًا معينة تغرس فيهم لونًا من ألوان الشجاعة.

وقد لمح ابن خلدون هذه الصلة بين الإنسان والطبيعة، وأنها من مكونات شخصيته، فجعل الشجاعة استجابة للمؤثرات البيئية، ولهذا كان يرى أن البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر. يقول في مقدمته[١٥٨]: «والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدّعة ، وانغمسوا في النعيم والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم، والحاكم الذي يسوسهم، والحامية التي تَولّت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم، فلا تهيّجهم هيعة[١٥٩]، ولا يُنفّر لهم صيد فهم غارون آمنون، ألقوا السلاح، وتوالت على ذلك منهم الأجيال.. حتى صار ذلك خلقًا يتنزل منزلة الطبيعة. ثم يحلل مجتمع البادية تحليلاً نفسيًا فيقول: «وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لايكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم، فهم دائمًا يحملون السّلاح، ويتلفتون عن

---

[١٥٨] انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت ط٦، (١٩٨٦م)، ص١٢٥.

[١٥٩] الهيعة: الصوت تفزع منه وتخافه، من عدو. القاموس المحيط ١٠٠٣ (هيع).

www.mtenback.com

كلٌ جانب في الطرق، ويتجافون عن الهجوع إلاّ غرارًا في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب، ويتوجسون للنَبآت[١٦٠]، والهَيْعات، ويتفردون في القفر والبيداء، مُدلّين ببأسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقًا والشجاعة سجية، يرجعون إليها متى دعاهم داعٍ أو استنفرهم صارخ، وأهل الحضر مهما خالطوهم عيال عليهم، لايملكون معهم شيئًا من أمر أنفسهم».

وهذا الذي ذهب إليه ابن خلدون من أن أهل البادية أقرب إلى الشجاعة من أهل الحاضرة، ماهو إلا نتيجة استقراء لواقع ملموس عبر أجيال متتابعة، وقد أدرك هذه الحقيقة بعض الشعراء والمفكرين منذ القدم وأشاروا إليها إشارات خاطفة، استفاد منها ابن خلدون في صياغة نظريته.

فالشاعر الجاهلي الأعشى يقول[١٦١]:

لَسْنا كَمَنْ جَعَلَتْ إيادٌ دارَهَا تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدا

فهو يفتخر بعزة قومه ومنعتهم، لأنهم من أهل البادية، الذين لايقيمون على ذل، ولا يخضعون لقوي، فهم ليسوا مثل أولئك الذين استوطنوا تكريت وعملوا بالزراعة والحراثة، فذلوا وقبلوا الضيم.

وأبو العلاء المعري يرى أن العزّ في البادية والذل في الحاضرة، يقول[١٦٢]:

اَلْمُوقِدُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ لايَحْضُرُونَ وَفَقْدُ العِزِّ في الحَضَرِ

---

[١٦٠] النبآت: جمع نَبأة، وهي الصوت الخفي، القاموس المحيط ص ٦٧ (نبأ).

[١٦١] الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٨١.

[١٦٢] المعري، أبو العلاء: شروح سقط الزند، لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٩٤٥م) القسم الأول، ص ١٤٢.

www.mtenback.com

ولأهمية التدريب العملي في اكتساب خلق الشجاعة، فإن الرسول عليه السلام كان يحض المسلمين على التدريب العملي على استخدام السلاح، بل كان يشاركهم في التدريب. ورد في الحديث عن سلمة بن الأكوع قال[١٦٣]: مر النبي على نفر من أسلم ينتضلون[١٦٤]، فقال النبي ﷺ: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميًا، ارموا وأنا مع بني فلان» قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم. فقال رسول الله ﷺ: «مالكم لاترمون» قالوا: كيف نرمي وأنت معهم، قال النبي ﷺ: «ارموا فأنا معكم كلّكم».

وجاء في الحديث عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ، وهو على المنبر يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»[١٦٥] «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

ولا يذهبن بنا الظنُّ إلى أن الرمي مقصود به رمي النبال، بل إنّه يشمل كل أنواع الرمي على صنوف الأسلحة المستحدثة بعد عصر الرسول عليه الصلاة والسلام، وماسيستحدث من أسلحة إلى آخر الزمن.

ودعاهم ﷺ إلى الاستمرار على التدريب، وعدم تركه. فعن عقبة بن عامر الجهني[١٦٦]: قال رسول الله ﷺ، «من عُلِّم الرمي، ثم تركه، فليس منا، أو قد عصى».

وكان لهذا التدريب المستمر ثماره اليانعة، إذ اكتسب العرب الأوائل من خلق الشجاعة مافاقوا به كل الشجعان، وقصص شجاعتهم كثيرة حفلت بها كتب السير والتاريخ.

---

[١٦٣] البخاري: صحيح البخاري، ص ٥٥٧، رقم (٢٨٩٩).

[١٦٤] ينتاضلون: أي يتبارون في الرمي. الفيومي، أحمد بن محمد: المصباح المنير ص ٦١٠ (نضل).

[١٦٥] النووي: رياض الصالحين، ص ٤٦٧ رقم (١٣٤٠).

[١٦٦] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

واستمر التدريب العملي بعد الرسول ﷺ، طوال العصور الإسلامية وخاصة التدريب على الرمي، وركوب الخيل، وتحمل شظف العيش، وترك الدعة والراحة. جاء في عيون الأخبار[١٦٧]: «كتب عمر رضي الله عنه: ائتزروا وارتدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الرُّكُب[١٦٨] وانزوا نزواً على الخيل.. ودعوا التنعم وزيّ العجم»، وقال أيضاً[١٦٩]: «لن تخور قوى ماكان صاحبها ينزع ويـنزو، يعني ينزع في القوس، وينزو على الخيل من غير استعانة بالرُّكُب».

وكان عمر نفسه يتدرب على القفز على الخيل، قال ابن قتيبة[١٧٠]: «كان عمر ابن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه اليمنى، وبيده اليسرى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه[١٧١]، ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه».

ولما كان التدريب العملي وسيلة أساسية وناجعة في اكتساب خلق الشجاعة، والتغلب على خلق الجبن وقهره، نجد الجيوش الحديثة تعتمد كثيراً على إجراء التدريبات والتمارين العملية لجنودها باستمرار، بل يقوم إعداد الجنود أصلاً على هذه التدريبات العملية، وليس على الرمي واستخدام صنوف الأسلحة فحسب، بل إنّها تضعهم في جو مشابه لجو المعركة المفترضة، وظروفها المختلفة، ليكتسبوا الشجاعة والبسالة، وينتصروا على الخوف الذي في أنفسهم قبل انتصارهم على عدوهم. وكلما كانت تلك التمارين قاسية كانت نتائجها أفضل. ولذلك فإن الجيوش تجري تدريبات شديدة، وتمارين صعبة وقاسية لتهيئ قوات خاصة، يكتسب أفرادها شجاعة نادرة وجرأة منقطعة النظير ، ليقوموا بمهام خاصة تتطلب شجاعة فريدة ولياقة بدنية عالية.

---

[١٦٧] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢١٦.

[١٦٨] الرُّكُب: جمع رِكاب وهو مايستعان به للركوب على الفرس. القاموس المحيط ص ١١٧ (ركب).

[١٦٩] المصدر السابق نفسه.

[١٧٠] المصدر السابق نفسه.

[١٧١] الجراميز: أعضاء الجسد، يقال: أخذه بجذافيره، أي: أجمع، القاموس ٦٤٩، (جرمز).

www.mtenback.com

ويعدُّ الإيمان بالله تعالى، ومايصدر عنه، خير وسيلة وأنجعها في اكتساب الشجاعة، لأن الإيمان الصادق يخلص الإنسان من عوامل الجبن ومسبباته، لأن الحرص على الحياة سبب الجبن، وكلما اشتد حرص الإنسان على الحياة اشتد جبنه وخوفه، غير أنَّه إذا تشرّب قلبه بالإيمان الذي لا يخامره شك، فإنَّه يتخلص من حبّ الدنيا والحرص عليها، ومن ثم التخلص من دواعي الجبن.

وقد يكون الجبن منشؤه خوف الإنسان على أهله وأولاده من بعده، روي عن الرسول ﷺ قوله[١٧٢]: «الولد مجبنة مبخلة» فشدة خوف المرء على ولده، وعلى من يعيل يجعله متشبثًا بالحياة جبانًا، لايقدم على مخاطرة، قال بعض الشعراء[١٧٣]:

لَقَدْ زادَ الحَياةَ إلَيَّ حُبًّا ... بَناتي إنَّهُنَّ مِنَ الضِّعافِ

مَخافَةَ أَنْ يَرَيْنَ البُؤْسَ بَعْدي ... وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صافِي

وَأَنْ يَعْرَيْنَ إنْ كُسِيَ الجَواري ... فَتَنْبُو العَيْنُ عَنْ كَرَمٍ عِجافِ

ونحوه قول الآخر[١٧٤]:

وَزادَني رَغْبَةً في العَيْشِ مَعْرِفَتي ... ذُلَّ اليَتيمةِ يَجْفُوها ذَوُو الرَّحِمِ

أُحاذِرُ الفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يُلِمَّ بِها ... فَيَهْتِكَ السِّتْرَ مِنْ لَحْمٍ عَلى وَضَمِ

ولكن عندما يؤمن الإنسان إيمانًا قاطعًا بأن الله تعالى متكفل بالعطاء ولايحرم أحدًا من رحمته، وأنَّه هو الرزاق ذو القوة المتين، فإن ذلك من شأنه أن يزيل عنه الجبن، ويذهب عنه الخوف على أهله وأولاده ثقة بالله وتوكلاً عليه، ومتى انعدمت عوامل الجبن حلت محلها عوامل الشجاعة ودوافعها.

---

(١٧٢) الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي ، بيروت، دمشق ط٢ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج٦، ص ١١٨ رقم (٧٠٣٧).

(١٧٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص ١١٠-١١١.

(١٧٤) المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وإذا ترسخت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر لدى المرء، وأيقن أنه لن يصيبه إلاّ ماكتبه الله له، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[١٧٥] وعلم أن الأجل محتوم، لاتُدْنيه الشجاعة وخوض المعارك، ولن يؤخره الجبن والفرار من المعركة؛ إذا ماترسخت هذه الأسس، واستقرت في نفس الإنسان، واستشعرها استشعاراً صادقًا، فلن يخيفه شيء، فيصبح شجاعًا مقدامًا غير هيّاب ولا وجل؛ لأن هذه العقيدة الإيمانية تجعل القلوب في طمأنينة تامة، وتمدُّها بمدد عظيم من الشجاعة والثبات تجاه أعتى المخاوف وأشدها، إذ تكون النفوس عندئذ مستعدة لتقبل المقادير مهما كان حجمها[١٧٦].

ومن أبرز وسائل التخلق بخلق الشجاعة، القدوة الحسنة، لأنها المثال الحي الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، ولاسيما أن خلق الشجاعة نبيل، ويكبره الجميع وتتطلع إليه النفوس، والجبن بغيض، تنفر منه النفوس وتحتقره. وقد قيل[١٧٧]: «الشجاع محبب حتى إلى عدوه، والجبان مُبَغَّضٌ حتى إلى أمه».

وفي الشجاعة عز عظيم تشرئبُّ إليه الأعناق، وفي الجبن منقصة وذل ينفر منه الجميع. جاء في التذكرة الحمدونية[١٧٨]: «الشجاعة عز والجبن ذل، وكفى بالعز مطلوبًا، وبالذل مصروفًا عنه ومرغوبًا».

ومادام الأمر على هذه الحال، فإن إبراز القدوة الحسنة التي تمثل الشجاعة بأسمى معانيها، سيكون له أبلغ الأثر وأعظمه في اكتساب هذا الخلق الرفيع.

---

[١٧٥] سورة التوبة: الآية ٥١.

[١٧٦] الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج٢، ص ٥٧٢ بتصرف.

[١٧٧] الثعالبي، عبد الملك بن محمد: اللطائف والظرائف، دار المناهل، بيروت، (د.ت)، ص ١٢٨.

[١٧٨] ابن حمدون: التذكرة، المجلد الثاني، ص ٣٩٥.

www.mtenback.com

وتاريخنا العربي الإسلامي حافل بمواقف البطولة والشجاعة التي صنعها آلاف الشجعان على مر العصور، وكلُّ واحد منهم يصلح أن يكون قدوةً حسنة، ومثالاً يحتذى؛ وماعلينا إلاَّ أن نحسن عرض ذلك عرضًا مشوقًا، نبرز فيه جوانب الشجاعة وفضائلها، ونجسِّد المجد والعز اللذين تَبوَّأهما أولئك الشجعان، فاحتلوا مكانة سامية ومنزلة سامقة، تتقطع دونها أعناق الرجال.

ومن أفضل من يقوم بمثل هذه المهمة العظيمة المؤسسات التربوية على مختلف مراحلها، والمؤسسات الإعلامية بوسائلها المتعددة من مسموعة ومقروءة ومرئية، فالمؤسسات التربوية دورها جدٌّ خطير في هذا المجال، إذا بمقدورها أن تقدم القدوة الحسنة بما تتضمنه مناهجها التعلمية من قصص الأبطال وسير الشجعان وإبرازهم بصورة محببة وجذّابة بما قاموا به من أعمال عظيمة، وبما أحرزوه من مجد وعز يكونان مهوى أفئدة الناشئة.

أما المؤسسات الإعلامية، بوسائلها المتعددة من مقروءة ومسموعة ومرئية فلها اليد الطولى، والدور الأعظم في تقديم القدوة الحسنة، عن طريق تقديم المسلسلات والتمثيليات التاريخية، وتجسيد مضمون الشجاعة والشجعان تجسيدًا حيًّا واقعيًا، وكأن ذلك مثال حسيٌّ مشاهدٌ ملموس، فيكون ذلك أبلغ في التأثير. «إنَّ القدوة الحسنة تحتل في المجتمعات الإنسانية مرتبة في المجد لايحظى بها غيرها، وهذه المرتبة محفوفة بالتقدير الكبير من الناس، ومحفوفة بالثناء والإطراء والإعجاب، وكل هذا يولد في الفرد المحروم من أسباب هذا المجد حوافز قوية تحفزه إلى تقليد القدوة الحسنة، ومحاكاتها في أخلاقها وسلوكها، وعن طريق التقليد في الفضائل تكتسب الفضائل، لأن الممارسة التقليدية تتحول إلى عادة متمكنة، وهذه تتحول إلى خلق مكتسب»[١٧٩].

[١٧٩] انظر: الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١، ص ٢٠٣.

www.mtenback.com

ضروب الشجاعة ومجالاتها:

للشجاعة ضروب ومجالات، يمكن أن نحصرها في خمسة مجالات هي: شجاعة الحرب، وشجاعة الرأي، وشجاعة الموقف، وشجاعة الإرادة وأخيرًا شجاعة القرار، وهذه الأضرب هي:

شجاعة الحرب:

إن الحروب وساحات المعارك من أشهر المجالات التي تظهر فيها الشجاعة، حتى غدت شجاعة الحرب أبرز أضرب الشجاعة، وإليها ينصرف الذهن عندما تُذكر الشجاعة.

وقد اشتهر العرب منذ الجاهلية بالشجاعة والإقدام في الحروب وساحات الوغى، وتغنوا وافتخروا بها، وأحلوا الشجاع مكانة رفيعة، ومنزلة عالية، وتدربوا على فنون الحرب وأعدوا لها العدة.

وصور لنا الشعر العربي البطولات العربية، والشجاعة في الحرب، تصويرًا جميلاً ورائعًا، ورسم لنا صورة الشجاع الفارس بكل مايتسم به من صفات نبيلة، وسجايا حميدة، من جرأة وإقدام منقطعي النظير، وشهامة وقوة، وعفة وحمية، باذلين أرواحهم رخيصة في سبيل ظهورهم بمظهر الشجاع البطل فكانوا يتمادحون بالموت قعصًا[١٨٠]، ويتهاجون بالموت على الفراش[١٨١].

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل مصعب أخيه، قال[١٨٢]: «إن يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه، إنَّا والله لانموت حتفًا، ولكن نموت قعصًا بأطراف الرماح، وموتًا تحت ظلال السيوف».

---

[١٨٠] يقال: مات قعصًا، إذا أصابته ضربة، أو رمية، فمات مكانه، القاموس المحيط ص ٨١٠ (قعص).

[١٨١] ابن عبدربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٠١.

[١٨٢] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وفي هذا المعنى يقول السموءل[١٨٣]:

وَما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ ... وَلا طُلَّ مِنّا حَيْثُ كانَ قَتيلُ

تَسيلُ عَلى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنا ... وَلَيْسَ عَلى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسيلُ

بل إنهم كانوا يستعذبون الموت ويستحلون المنايا، كقول الشاعر[١٨٤]:

وَإِنَّا لَتَسْتَحْلِي المَنايا نُفُوسُنا ... وَنَتْرُكُ أُخْرى مُرَّةً لانَذُوقُها

ونحو قول الآخر[١٨٥]:

يَسْتَعْذِبُونَ مَنايَاهُمْ كَأَنَّهُمْ ... لايَخْرُجُونَ مِنَ الدُّنْيا إِذا قُتِلُوا

ولهذا كانوا يتواردون على الموت مقبلين غير مدبرين، يقول حسان بن ثابت مفتخراً بإقدام قومه[١٨٦]:

وَلَسْنَا عَلى الأَعْقابِ تَدْمى كُلُومُنا ... وَلَكِنْ عَلى أَقْدامِنا تَقْطُرُ الدِّمَا

وفي هذا المعنى يقول الآخر[١٨٧]:

مُحَرَّمَةٌ أَكَفالُ خَيْلِي عَلى القَنا ... وَدامِيَةٌ لَبّاتُها وَنُحُورُهَا

وكانوا يحتقرون من يفر من المعركة، وبلغ من احتقارهم له أنّهم يأنفون من قتله هواناً واستصغاراً لشأنه، قال الشاعر[١٨٨]:

حَرامٌ عَلى أَرْماحِنا طَعْنُ مُدْبِرٍ ... وَتَفْرَقُ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا

---

[١٨٣] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١٠١.

[١٨٤] المصدر السابق نفسه.

[١٨٥] المصدر السابق نفسه، ج١، ص١٠٧.

[١٨٦] المصدر السابق نفسه، ج١، ص١٠٠.

[١٨٧] المصدر السابق نفسه.

[١٨٨] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

والرجال في الشجاعة عند احتدام المعركة ثلاثة أصناف يفصّلها الأبشيهي بقوله[١٨٩]: «الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: رجل إذا التقى الجمعان، وتزاحف العسكران، واكتحلت الأحداق بالأحداق، برز من الصف إلى وسط المعترك، يحمل ويكرّ وينادي: هل من مبارز؟

والثاني: إذا نشب القوم، واختلطوا، ولم يدر أحدٌ منهم من أين يأتيه الموت، يكون رابط الجأش، ساكن القلب، حاضر اللب، لم يخالطه الدهش، ولاتأخذه الحيرة، فيتقلب تقلب المالك لأموره، القائم على نفسه.

والثالث: إذا انهزم أصحابه يلزم الساقة، ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم، ويقوي قلوب أصحابه، ويرجي الضعيف، ويمدهم بالكلام الجميل، ويشجع نفوسهم، فمن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كبابه فرسه حماه، حتى يَيْأَس العدو منهم ، وهذا أحمدهم شجاعة، وعن هذا قالوا: «إن المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر وراء الغافلين».

إن هذا النص القيم قد بيّن حالات الشجاع وأوضح درجات الشجاعة الحربية في أطوار المعركة الثلاثة: في بدايتها، وفي وسطها إذا حمي الوطيس واحتدم القتال واختلط الحابل بالنابل، وفي نهايتها عندما تدور الدائرة على أحد الفريقين، وهنا يثبت الشجاع البطل، وبثباته تنقلب الموازين، وتتحول الهزيمة إلى نصر، وهذه الحالة أفضل حالات الشجاعة وأعلى درجاتها، ولذلك عبروا عنها بقولهم: «أحمدهم شجاعة».

وهذا يذكرنا بموقف الرسول ﷺ الذي كان أشجع الشجعان، حين ثبت في معركة حنين عندما انكشف المسلمون فحوّل بثباته ورباطة جأشه في تلك الساعة العصيبة والموقف الحرج، سير المعركة من هزيمة إلى نصر مؤزر. جاء في البداية

---

[١٨٩] الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص ٥٦-٥٧.

www.mtenback.com

والنهاية[١٩٠]: «فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين، فسبق رسول الله ﷺ، إليها فأعدّوا وتهيؤوا في مضايق الوادي وأحنائه، وأقبل رسول الله ﷺ وأصحابه، حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح، فلما انحط الناس ثارت في وجوههم الخيل، فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين، لايقبل أحد على أحد. وانحاز الرسول عليه الصلاة والسلام ذات اليمين يقول: «أين أيها الناس؟ هلموا إليّ أنا رسول الله، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله... واجتلد الناس، فوالله مارجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ».

ولهذا كان الثبات في ساحة الوغى من أفضل صفات الشجاع، وكانوا يتواصون به، من ذلك ما أوصى به علي رضي الله عنه ابنه محمداً قائلاً[١٩١]: «تزول الجبال ولاتزول. عُضّ على ناجذك، أعرِ الله جمجمتك، تِدْ في الأرض قدمك، ارمِ ببصرك أقصى القوم».

وقد أجاد أبو تمام في تصوير ثبات الشجاع في ساحة المعركة، فقال[١٩٢]:

فَأَثْبَتَ فِي مُسْتَنْقَعِ المَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكِ الحَشْرُ

تَرَدّى ثِيابَ المَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلاّ وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

ولذلك كانوا يفتخرون بقتل الشجاع الثابت في أرض المعركة، الذي هابه الأبطال وكرهوا نزاله، لأنهم بقتله يثبتون شجاعتهم النادرة التي لاتضاهيها أي شجاعة، إذ انتصروا على بطل لا كالأبطال، يقول عنترة[١٩٣]:

---

[١٩٠] ابن كثير، الحافظ أبو الفداء: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر الرباط ط١ (١٩٦٦م)، ج٤، ص ٣٢٦.

[١٩١] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٣١٢.

[١٩٢] أبو تمام: ديوان أبي تمام، ص٦٧١.

[١٩٣] عنترة: ديوان عنترة، ص ٢٠٩.

www.mtenback.com

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ ... لا مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلا مُسْتَسْلِمِ
جادَتْ يَدايَ لَهُ بِعاجِلِ طَعْنَةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ

وكانت نجدة المستغيث وتلبية صرخة المستصرخ، من أبرز صفات الشجاع المقدام ومن دواعي فخرهم واعتزازهم، يقول طرفة[١٩٤]:

إذا القَوْمُ قالُوا مَنْ فَتىً خِلْتُ أَنَّنِي ... عُنِيتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

إذ إنه ليس كل من يدعى يلبي الدعوة، بل الشجاع هو الذي يلبي. قال متمم بن نويرة[١٩٥]:

إذا القَوْمُ قالُوا مَنْ فَتىً لِعَظِيمَةٍ ... فَما كُلُّهُمْ يُدْعَى، وَلَكِنَّهُ الفَتى

وهم سراع لنجدة المستغيث، ينفرون إليه جماعات كثيرة تغطي قرص الشمس، يقول الشاعر[١٩٦]:

وَإِنْ دَعَوْتَهُمْ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ ... سَدُّوا شُعاعَ الشَّمْسِ بِالفُرْسانِ

وهم يبادرون إلى نجدة من يستغيث بهم، دون أن يسألوه عن السبب، قال الشاعر[١٩٧]:

إذا اسْتُنْجِدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعاهُمُ ... لأَيَّةِ حَرْبٍ، أَمْ بِأَيِّ مَكانِ

---

[١٩٤] طرفة بن العبد: ديوان طرفة، تحقيق: درية الخطيب، لطفى الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص٢٧.

[١٩٥] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: الكامل في الأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ص١٤٦.

[١٩٦] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١٠٨.

[١٩٧] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

والشجاع دائمًا في حالة استعداد وتأهب لنجدة المستصرخين، ففراشه لبد فرسه، وسيفه لايفارق يمينه، وهو متسربل بدرعه، جاهز لخوض المعركة في كل لحظة، يقول الحريش بن هلال القربعي[١٩٨]:

لُبَدِي فِراشِي إِذا ماآنَسُوا فَزَعًا ... وَتَحْتَ رَأْسِي إِذا مانَوَّمُوا حَجَرُ

وَفِي يَمِينِي خَشِيبٌ ما يُفارِقُنِي ... عَضْبٌ مُهَزَّتُهُ ذُو رَوْنَقٍ ذَكَرُ

بَزِّيِّ الحَدِيْدُ وَيَحْمِينِي إِذا هَجَعَتْ ... عَنِّي العُيُونُ جَوادٌ قَارِحٌ ذَكَرُ

بِذاكَ أَشْهَدُ يَوْمَ الرَّوْعِ إِذْ شَجَرَتْ ... بُسُلُ الكُماةِ وَضاقَ الوَرْدُ والصَّدَرُ

وهو حذر أشد الحذر، فإن نامت عيناه، فقلبه لاينام، وإن نام قلبه، فعينه يقظة حارسة لقلبه. يقول تأبط شرًا في وصف شجاع[١٩٩]:

إِذا حاصَ عَيْنَيْهِ كَرى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ ... لَهُ كالِئٌ مِنْ قَلْبِ شَيْحانَ فَاتِكُ

وَيَجْعَلُ عَيْنَيْهِ رَبِيئَةَ قَلْبِهِ ... إِلى سَلَّةٍ مِنْ حَدِّ أَخْلَقَ باتِكُ

وهو إذ يلبي دعوة المستغيث به، يكون كريمًا كرمًا نادرًا ليس له نظير، حيث إنه يجود بأغلى مايملك وهي روحه، يقول مسلم بن الوليد[٢٠٠]:

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الجَوادُ بِها ... وَالجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصى غايَةِ الجُودِ

ونحوه قول الآخر[٢٠١]:

إِذا ما الْتَقَيْنا كُنْتُ أَوَّلَ فارِسٍ ... يَجُودُ بِنَفْسٍ أَثْقَلَتْها ذُنُوبُها

---

[١٩٨] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص٣١٣-٣١٤.

[١٩٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١١٩. وحاص: خاط وشيحان: حازم جافي الأمر. القاموس المحيط (حوص، شيح).

[٢٠٠] المصدر السابق، ج١، ص ١٠٨.

[٢٠١] المصدر السابق، ص ١٠٣.

www.mtenback.com

والشجاع يقدم على ساحة المعركة رابط الجأش، واثق الخطا، لايخاف المـــوت، ولا يخشى الردى، لبس لأمة الحرب، يرقل إلى الموت إرقال الجمال المصاعب، ينظر إلى عدوه بعينين يتطاير منهما الشرر، يقول علي بن أبي طالب موصيًا جيشه قبل خـــوض المعركة[٢٠٢]: «عضوا على النواجذ فإنه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملـــوا اللأمـــة، وقلقلوا السيوف في الأغماد قبل سلّها، والحظوا الخزر، واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا... وامشوا إلى الموت مشيًا سجحًا».

ووصف رجل قومًا بالشجاعة، فقال[٢٠٣]: «يقتحمون الحرب حتـــى كأنمـــا يلقونها بأنفس أعدائهم».

فالشجاع البطل هو الذي يكون دائمًا الأقرب من عدوه، مع رباطة جأش وقوة شكيمة ومضاء عزيمة، وكلما اشتدت الحرب زادت حماسته وارتفعت همته، وكلمـــا اقترب الموت ازداد دنوًا منه. كان معاوية بن أبي سفيان يتمثل بقول الشاعر[٢٠٤]:

أَخُو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّها وَإِنْ شَمَّرَتْ يَوْمًا بِهِ الحَـــرْبُ شَـــمَّرا

وَيَدْنُو إِذا ماالمَوْتُ لَـــمْ يَـــكُ دُونَـــهُ قدَى الشِّبْرِ يَحْمِي الأَنْفَ أَنْ يَتَـــأَخَّرا

وعبروا عن شدة قربهم من خصمهم في القتال بأن يصلوا ســـيوفهم بخطـــاهم ليتمكنوا من عدوهم، يقول ودّاك بن ثميل المازني[٢٠٥]:

---

[٢٠٢] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص٣١٢. وقوله: عضوا على النواجذ: يريد له أن الإنسان إذا عـــض على نواجذه تصلبت أعصابه وعضلاته في هامته فتكون أصلب وأقوى على مقاومة السيف. والخـــزر: النظر من جانب العين وهو علامة الغضب. والشزر: الطعن في الجوانب يمينًا وشمالاً. انظـــر حاشـــية الصفحة السابقة والتي تليها.

[٢٠٣] المصدر السابق، ص ٣٢٧.

[٢٠٤] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص ٤٠٣.

[٢٠٥] المصدر السابق نفسه .

www.mtenback.com

مَقادِيمُ وَصّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطْوَهُمْ بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ يَمانِ

ونحوه قول الآخر [٢٠٦]:

إِذا قَصَّرَتْ أَسْيافُنا عَنْ عِداتِنا جَعَلْنا خُطانا وَصْلَها فَتَطُولُ

ومثل ذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه [٢٠٧]:

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذا قَصَرْنَ بِخَطْوِنا قِدْمًا وَنَلْحَقُها إِذا لَمْ تَلْحَقِ

والشجاع يقترب أكثر فأكثر من خصمه في ساحة القتال حتى يتعانقا، تحت عجاج الحرب ولمع الأسنة، ولكن أيّ تعانق! يقول العباس بن مرداس[٢٠٨]:

فَتَعانَقَ الأَبْطَالُ فِي حَمَسِ الوَغى تَحْتَ الأَسِنَّةِ وَالغُبارِ الأَطْحَلِ

ولا يكون الرجل شجاعًا في الحرب، إلاّ إذا كان ثابت الجنان، شديد الصولة لاترتعد فرائصه خوفًا أو فزعًا من خصمه، بل يكون فاتكًا جسورًا غير هيّاب، قال حارثة بن بدر[٢٠٩]:

وَلا تَلْتَمِسْ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِامْرِئٍ إِذا رامَ أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَواذِلُهْ

وَما الفَتْكُ إِلاّ لامْرِئٍ رابِطِ الحَشا إِذا صالَ لَمْ تُرْعِدْ إِلَيْهِ خَصائِلُهْ

والشجيع كلّ الشجيع، هو البطل القوي المراس، العالي الهمة، الذي لا يظهر ضعفًا ولا خضوعًا، ولا يبدي الشكوى مهما واجه من مصاعب، بل يبقى شامخًا متعاليًا، يخشى العار، وسوء القالة، يقول هدبة بن خشرم[٢١٠]:

---

[٢٠٦] المصدر السابق نفسه.

[٢٠٧] المصدر السابق نفسه، ص ٤٠٢.

[٢٠٨] المصدر السابق نفسه، ص ٤٣٩.

[٢٠٩] ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص ٤٣٩.

[٢١٠] المصدر السابق، ص ٤٤٠.

www.mtenback.com

وَلَيْسَ أَخُو الحَرْبِ الشَّدِيدَةِ بِـالَّذِي ... إِذا زَبَنَتْـهُ كـانَ لِلسِّـلْمِ أَخْضَعـا
وَلَكِنْ أَخُو الحَرْبِ الحَدِيـدُ سِـلاحُهُ ... إِذا حَمَلَتْـهُ فَـوْقَ حـالٍ تَشَـجَّعا
أَخُو الحَرْبِ لا يَنْآدُ لِلْحَـرْبِ مَتْنُـهُ ... وَلا يُظْهِرُ الشَّكْوى إِذا كانَ مُوجَعـا
رَكُوبٌ عَلَـى أَثْباجِهـا مُتَخَـوِّفٌ ... لِعَوْراتِها يَنْمِـي إِذا الثِّقْـلُ أَضْلَعـا

ويستحب من الشجاع أن يظهر في الحرب أمام عدوه بمظهر القوة والجبروت، ليرهبه بشدة هيبته، قال داود بن رزين الواسطي[٢١١]:

يَمْشِي العِرَضْنَةَ فِي الحُـرُوبِ كَأَنَّـهُ ... أَسَـدٌ لِهَيْبَتِـهِ القُلُـوبُ تَطِـيرُ

ولكنه مع قوته وجبروته، وشدة هيبته، عليه ألاَّ يستهين بخصمه، أو يقلل من شأنه، ولا يحتقره مهما كان شأنه. جاء في المستطرف[٢١٢]: «ومن الحزم ألاَّ يحتقر الرجل عدوّه وإن كان ذليلاً، ولا يغفل عنه، وإن كان حقيراً».

قال عمرو بن حلزة[٢١٣]:

لا تَكُـنْ مُحْتَقِـراً شَـأْنَ امْـرِئٍ ... رُبَّما كـانَ مِـنَ الشَّـأْنِ شُـؤُونُ

ومما يستحب للشجاع عندما تلتحم الأبطال في ساحة المعركة، أن يلتزم السكينة والوقار وخفض الصوت، وترك الجَلَبة. قال أكثم بن صيفي[٢١٤] يوصي قومه في الحرب: «واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل،... تثبتوا فإن أحزم الفريقين الرّكين»[٢١٥].

---

[٢١١] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج٣، ص ٣٠٧

[٢١٢] الأبشيهي: المستطرف، ج٢، ص ٥٧.

[٢١٣] الزمخشري: ربيع الأبرار، ج ٣، ص ٣٥٩.

[٢١٤] ابن قتيبة: عيون الأخبار ،ج ١، ص ١٨٦.

[٢١٥] الركين: الرزين، القاموس المحيط (ركن).

www.mtenback.com

وذلك أن المقاتل الذي يقدم على المعركة وهو صامت لا يتكلم، يكون أشد هيبة في عيون خصومه. قال عتبة بن ربيعة يوم بدر لأصحابه[٢١٦]: «ألا ترونهم - يعني المسلمين - جُثيًّا على الرُّكب، كأنهم خرْسٌ يتلمظون تلمظ الحيَّات».

وكان علي رضي الله عنه يحمس أصحابه يوم صفين، قائلاً: [٢١٧] «استشعروا الخشية، وعنُّوا الأصوات [٢١٨]، وتجلببوا السكينة».

وفي هذا المعنى قال الشاعر، فأحسن وأجاد [٢١٩]:

وَلَمْ تَنْطِقِ الأَبْطالُ إلاّ بِفِعْلِها ... فَأَلْسُنُها عُجْمٌ وَأَفْعالُها عُرْبُ

إذا ما الْتَقَوْا فِي مَأْزِقٍ وَتَعانَقُوا ... فَلُقْيَاهُمُ طَعْنٌ وَتَقْبِيلُهُمْ ضَرْبُ

وربما يشعر الشجاع بشيء من الخوف، أو يخامره بعض الذعر في المعركة، ولكن لا يعاب في ذلك إن كان الذعر لا يشل حركته، ولا يدهشه، أو كان الخوف يجعله يحتال حيلة على عدوه فيصرعه، كان مسلمة بن عبدالملك فارس بني أمية وشجاعهم، فقال له أخوه هشام: «يا أبا سعيد، هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو؟ قال: ما سلمت في ذلك من ذعر ينبّه على حيلة، و لم يَغْشَني فيها ذعر سلبني رأيي. قال هشام[٢٢٠]: هذه البسالة».

ومثلما يخاف الشجاع خوفًا لا يقوده إلى ذهاب فكره، فلا يعاب عليه، كذلك قد يفرُّ من المعركة، فلا يعاب إن كانت فرة واحدة و لم تكن طبعًا منه، جاء في العقد

---

[٢١٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ١٨٧.

[٢١٧] المصدر السابق، ص ١٨٩.

[٢١٨] عنُّوا الأصوات: من التعنية أي الحَبْس، والمعنى: احبسوا أصواتكم. انظر: القاموس المحيط، ص١٦٩٦ (عنو).

[٢١٩] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١١١.

[٢٢٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٦٨، وابن حمدون: التذكرة الحمدونية، المجلد الثاني، ص٤٢٣.

www.mtenback.com

الفريد[٢٢١]: «وليس يعاب الشجاعُ والبُهْمة البطل بالفرّة الواحدة، تكون منه خاصةً لا عامةً وقليلةً لا عادةً».

فهذا عبدالله بن مطيع العدوي فرّ يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة، فلما كان حصار الحجاج لعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، جعل يقاتل جيش الحجاج ويقول[٢٢٢]:

أنا الّذي فَرَرْتُ يَوْمَ الحَرَّهْ
وَالحُرُّ لا يَفِرُّ إلاّ مَرَّهْ
فَاليَوْمَ أَجْزِي فَرَّةً بِكَرَّهْ
لا بَأْسَ بِالكَرَّةِ بَعْدَ الفَرَّهْ

فلم يزل يقاتل حتى قتل.

وفرّ زفر بن الحارث يوم مرج راهط عن أبيه وأخيه، فقال معتذراً[٢٢٣]:

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِنْ أَسَأْتُهُ بِصَالِحِ أَيّامِي وَحُسْنِ بَلائِيا
وَلَمْ تُرَ مِنّي زَلَّةٌ قَبْلَ هَذِهِ فِرارِي، وَتَرْكِي صَاحِبَيَّ وَرائِيا

فهو يعتذر عن فراره هذا، بما لديه من رصيد سابق من الشجاعة والبلاء الحسن، وأنه لم تحسب عليه إلاّ هذه الفرة.

وبمثل هذا اعتذر عمرو بن معديكرب، وهو الشجاع البطل، وكان قد فرّ عن بني عبس، فعيرته بذلك امرأته أم الثوير، فقال[٢٢٤]:

---

[٢٢١] ابن عبد ربه: العقد الفريد ، ج١، ص ١٤٦.

[٢٢٢] المصدر السابق، ج١، ص ١٤٩.

[٢٢٣] المصدر السابق، ص ١٤٦.

[٢٢٤] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

أَجاعِلَـــةٌ أُمَّ الثُّوَيْـــرِ خَزايَـــةً ... عَلَيَّ فِراري إِذْ لَقِيتُ بَنـــي عَبْـــسِ
لَقِيتُ أَبا شَـــأْسٍ وَشَأْسًـــا وَمالِكًـــا ... وَقَيْسًا فَجاشَتْ مِنْ لِقـــائِهِمُ نَفْســـي
لَقُونـــا فَضَمُّـــوا جانِبَيْنـــا بِصـــادِقٍ ... مِنَ الطَّعْنِ مِثْلَ النّارِ فِي الحَطَبِ اليَبْسِ
وَلَمّا دَخَلْنا تَحْـــتَ فَـــيْءِ رِمـــاحِهِمْ ... خَبَطْتُ بِكَفّي أَطْلُبُ الأَرْضَ بِاللَّمْسِ
وَلَيْسَ يُعابُ المَرْءُ مِنْ جُبْـــنِ يَوْمِـــهِ ... إِذا عُرِفَتْ مِنْهُ الشَّـــجاعَةُ بِـــالأَمْسِ

إنّه شجاع رغم فراره، شجاع باعترافه بهزيمته، شجاع باعترافه بشـــدة بـــأس أعدائه وصدق بلائهم.

ويعترف مرة أخرى بفراره، فيقول [٢٢٥]:

وَلَقَـــدْ أَجْمَـــعُ رِجْلَـــيَّ بِهـــا ... حَـــذَرَ المَـــوْتِ وَإِنّـــي لَفَـــرُورُ
وَلَقَـــدْ أَعْطِفُهـــا كارِهَـــةً ... حِينَ لِلنَّفْـــسِ مِـــنَ المَـــوْتِ هَرِيـــرُ
كُـــلُّ مـــا ذَلِـــكَ مِنّـــي خُلُـــقٌ ... وَبِكُـــلٍّ أَنَـــا فِي الـــرَّوْعِ جَدِيـــرُ

إن رائحة القوة والشجاعة تفوح من هذه الأبيات، رغم الاعـــتراف الصريـــح بالفرار.

ومن أجمل ما قيل في الاعتذار من الفرار قول الحارث بن هشام [٢٢٦]:

اللهُ يَعْلَـــمُ مـــا تَرَكْـــتُ قِتـــالَهُمْ ... حَتّى عَلَوْا فَرَســـي بِأَشْـــقَرَ مُزْبِـــدِ
وَعَلِمْـــتُ أَنِّـــي إِنْ أُقـــاتِلْ واحِـــدًا ... أُقْتَلْ وَلا يَضُرُرْ عَـــدُوِّيَ مَشْـــهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُـــمْ وَالأَحِبَّـــةُ فِيهِـــمُ ... طَمَعًا لَهُـــمْ بِعِقـــابِ يَـــوْمٍ مُفْسِـــدِ

[٢٢٥] ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ١٤٧.

[٢٢٦] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٢٦٢.

www.mtenback.com

وأقصى مايفعل المرء الشجاع إذا التحمت المعركة أن يصد بوجهه عن ضرب السيف وأن يزورّ بجنبه مع ثبات قدمه وصبره. هذه الحركات الوقائية مع الثبات جسّدها الشاعر قيس بن الخطيم حين وصف نفسه وقومه بأن أقصى مايمكن أن يعدّوه فراراً من المعركة هو هذه الحركات فقال[٢٢٧]:

إذا مَا فَرَرْنا كانُ أَسْوَا فِرارِنا صُدُودَ الخُدُودِ وَازْوِرارُ المَناكِبِ

صُدُودَ الخُدُودِ والقنا مُتشاجِرٌ ولا تَبْرَحُ الأقدامُ عند التّضارُبِ

شجاعة الموقف:

لعلنا لا نجانب الحقيقة إنْ قلنا إنّ شجاعة الموقف تتطلب جرأة وإقداماً أكثر مما تتطلبه شجاعة الحرب، والدليل على ذلك أنّ هناك الكثير من شجعان الحرب الذين لا يُحْصَوْن عدداً في تاريخنا العربي الإسلامي، وشجعان المواقف أقل من ذلك بكثير، ففي المواقف الحرجة والأمور الصعبة والقضايا الشائكة، لا يصمد إلاّ قلة من الرجال، ممن وهبهم الله شجاعة نادرة وجرأة بالغة مع عقل نير، وفكر حاد وثبات لا يتزحزح، ورباطة جأش ليس لها نظير ، فكم من عظيم وقف موقفاً يتّسم بالقوة والرجولة والشجاعة، فغير بموقفه مجرى الأحداث، وربما مجرى التاريخ. وفي تاريخنا العربي الإسلامي مواقف عظيمة، صنعها رجال عظماء، كان لها أكبر الأثر في تاريخ الأمة، وإليها يعود الفضل في صنع عزها التليد، ومجدها المؤثل.

وسنقف عند أبرز تلك المواقف، لنبيّن فضل شجاعة الموقف، وعظيم دورها في حياة الأمم والشعوب، وأول موقف نقف عنده هو موقف الرسول الكريم ﷺ، ومواقفه كلها تشعّ بطولة وشجاعة، غير أننا سنكتفي بموقفٍ واحدٍ من مواقف

---

[٢٢٧] قيس بن الخطيم: ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، (١٣٨٧هـ)، ص٨٧..

www.mtenback.com

الشجاعة والعظمة، هو الموقف الذي وقفه في بدء دعوته الخالدة، أمام قريش وقوتها وجبروتها. وذلك أن قريشًا عندما رأوه جادًا في دعوته، لا يثنيه عنها ما واجهوه به من صنوف الأذى وفنونه، أرادوا أن يقضوا عليها في مهدها، فذهبوا إلى عمه أبي طالب مهددين متوعدين إن لم يَكْفِهم أمر ابن أخيه. ونتيجة لهذا التهديد الشديد، سارع أبو طالب إلى الرسول عليه السلام فقال له [٢٢٨]: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني، فقالوا لي: كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبْقِ عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله ﷺ، أنّه قد بدا لعمه فيه بداء، وأنّه خاذله ومسلّمه، وأنّه قد ضعف عن نصرته والقيام معه. قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته».

لقد ظنت قريش أنّها قد انتهت من محمد عليه السلام ومن دعوته بتسليط عمه عليه، وهو نصيره الوحيد وحاميه وشاد أزره في نظرهم، فإذا تخلى عنه ضعف وفشل وترك دعوته. وظنّ عمه أنّه سيكف عن دعوته ويتركها عندما صارحه بأن استمراره في دعوته سيؤدي إلى قتله وقتل عمه، وهذا مضمون قوله: «فأبقِ علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق».

إنّه موقف بالغ الخطورة، شديد الوقع على الرسول عليه السلام، فالقوم مجمعون على صدّه عن دعوته، وهم مصممون على قتله إن استمر في دعوته، وقتل من كان ينصره. وبدا من كان يحميه، ويسنده، وكأنه قد خذله، وضعف عن حمايته ونصرته، بل إنّه يدعوه إلى الاستسلام.

وليس هناك موقف أحرج ولا أشد من هذا الموقف.

---

[٢٢٨] ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا ورفيقيه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط٢، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، القسم الأول، ص ٢٦٦.

www.mtenback.com

وليس هناك من الشجعان من يصمد أمام هذه التداعيات الخطيرة لكن محمـــــدًا ﷺ لم يستسلم و لم يتخاذل، حاشاه ثم حاشاه. بل قابل هذا الموقف بكل شـــــجاعة وثبات، أين منها شجاعة الأبطال وثباتهم على مدى التاريخ؟!.

لقد ارتاع الكفار من هذا الموقف وارتعدت فرائصهم من صدق عزيمة الرسول وقوة ثباته، إذ رأوا فيه همة عالية تستهين بالموت، ويصغر العالم كله في نظرها.

لقد كان هذا الموقف منعطفًا خطيرًا في تاريخ الدعوة الإسلامية، ونقطة انطلاقة صادقة، لتصل إلى غايتها وتحقق أهدافها.

ومن المواقف الشجاعة التي سطرها التاريخ موقف أبي بكر الصديق رضـــي الله عنه عندما توفي رسول الله ﷺ، وذلك أنّه عندما قبض عليه السلام، دهـــش النـــاس دهشًا شديدًا، فهم بين مكذب غير مصدق، أو مذهول قد صعقه الخبر، فَوَلِـــهَ عـــن نفسه، وفقد عقله، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما عرف منـــه مـــن شجاعة ورباطة جأش، قد اهتز فؤاده، وأخذ يتوعد ويتهدد من يقول إن الرسول عليه السلام قد مات. وعندما جاء أبوبكر إلى الناس وقف موقفًا شجاعًا أعاد للجميـــع رشدهم وصوابهم، يروي هذا الموقف ابن الأثير في الكامل، فيقول [٢٢٩]: «ولما توفي - يعني الرسول ﷺ - كان أبوبكر بمنزله بالسنح، وعمر حاضر، فلما توفي قـــام عمـــر فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ توفي، وإنّه والله مـــا مـــات، ولكنه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران، والله لـــيرجعنّ رســـول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنّه مات. وأقبل أبو بكر وعمر يكلم الناس، و لم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ وهو مسجّى في ناحية البيت، فكشف

---

[٢٢٩] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القـــاضي، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٧هـــ)، ج٢، ص١٨٧.

www.mtenback.com

عن وجهه، ثم قبّله، وقال: بأبي أنت وأمي طيّب حيًّا وميّتًا، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد متها.. ثم خرج وعمر يكلم الناس، فأمره بالسكوت فأبى.. فأقبل على الناس فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإنّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٢٣٠].

قال: فو الله لكأن الناس ما سمعوها إلاّ منه. قال عمر: فو الله ما هو إلاّ إذ سمعتها فَعُقِرْت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي، وقد علمت أن رسول الله ﷺ قد مات.

هذا الموقف العظيم من أبي بكر رضي الله عنه، لا يقفه إلاّ رجل قوي القلب، رابط الجأش ثابت الجنان في أصعب موقف وأقساه، وهل هناك أمر أصعب وأدهى وأقسى على المسلمين من وفاة الرسول ﷺ؟! وقد رأينا عمر رضي الله عنه، وهو من هو، كيف أذهله الأمر وأفقده صوابه؟ وكيف سقط على الأرض لما عرف الحقيقة المرّة؟

أمّا أبوبكر رضي الله عنه فقد تصرّف بكل شجاعة وحكمة، وسيطر على الموقف بقوة رغم هوله وصعوبته، وأنقذ المسلمين من حيرة وذهول، وردهم إلى رشدهم. فهل بعد هذه الشجاعة شجاعة؟!

وقريب من هذا، موقف سهيل بن عَمْرو رضي الله عنه، عندما وصل خبر وفاة الرسول إلى مكة، إذ استخفى عاملها عتّاب بن أسيد، وارتجت مكة وكاد أهلها

---

[٢٣٠] سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

www.mtenback.com

يرتدون. فقام سهيل على باب الكعبة وصاح بهم فاجتمعوا إليه فقال[٢٣١]: «يا أهل مكة لا تكونوا آخر من أسلم، وأول من ارتدّ، والله ليُتمَّنَّ الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله ﷺ، فلقد رأيته قائمًا مقامي هذا وحده، وهو يقول: قولوا معي: لا إله إلاّ الله، تَدِنْ لكم العرب، وتؤدِّ إليكم العجم الجزية، والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله، فمن بين مستهزئ ومصدق، فكان ما رأيتم. والله ليكونن الباقي» فامتنع الناس من الردة وثبتوا على الإسلام.

ومن المواقف البطولية التي لا يقفها إلاّ أفذاذ الرجال وعظماؤهم وتتجلى فيها الشجاعة النادرة بأسمى معانيها، موقف ابن تيمية المشهور عندما زحف التتار على الشام[٢٣٢]، فتملك الرعب والذعر قلوب الناس، فأصبحوا بين هارب أو مستسلم، وهرب جماعة من الأعيان والتجار وغيرهم إلى مصر والمدينة المنورة، وبقي البلد شاغرًا ليس فيه حاكم سوى نائب القلعة، وزاد الأمر سوءًا أن المساجين هربوا من سجونهم، فعاثوا في البلد الفساد.

ولما اقترب التتار من دمشق زاد هلع الناس، وقتلوا وغلت الأسعار غلاءً فاحشًا، وطلب التتار من نائب القلعة تسليمها.

في هذا الموقف المضطرب أشد الاضطراب، الخطير أشد ما يكون الخطر، فلا حاكم يسوس الناس، ولا قائد يتولى الدفاع عن البلد، ولا نظام يسيّر شؤون الناس. في هذا الوقت البئيس ينهض ابن تيمية بكل قوة وشجاعة وثبات، فيرسل إلى نائب القلعة يقول له[٢٣٣]: «لو لم يبق فيها إلا حجر واحد، فلا تسلمهم ذلك إن استطعت».

---

[٢٣١] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٨٧.

[٢٣٢] ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص ٧٠.

[٢٣٣] المصدر السابق، ص ٧-٨.

www.mtenback.com

ثم يقرر مقابلة «قازان» قائد التتار، فيقابله مرتين[٢٣٤]، لأخذ الأمان منه لأهل دمشق، وكانت شجاعته في مقابلة قازان تضرب بها الأمثال، وبعضها يتشبه أكابر الأبطال، ويصف من حضر المقابلة شجاعة ابن تيمية بقوله[٢٣٥]: «جلس الشيخ إلى السلطان قازان، حيث تجم الأسود في آجامها، وتسقط القلوب داخل أجسامها خوفًا من ذلك السبع المغتال، والنمرود المحتال، والأجل الذي لا يدفع بحيلة محتال».

ويقول ابن كثير [٢٣٦]: «وكلمه الشيخ تقي الدين كلامًا قويًا شديدًا فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ولله الحمد».

وكان رحمه الله كلما اشتد الخطر من هذا العدو الرهيب، يخرج إلى الناس[٢٣٧] ويبات عند العسكر ويثبتهم ويقوي جأشهم ويعدهم النصر إن صبروا وأعدوا العدة، ويتلو قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[٢٣٨].

وأصبح الملجأ الذي يلجأ إليه الناس وأولو الأمر، وصار معقد رجاء الجميع، ولما اشتد الخطب وادلهمّ الأمر، ركب إلى مصر يستحث السلطان أن يجهز جيشًا لإنقاذ الشام. ومما قاله للسلطان [٢٣٩]: «لو قدر أنّكم لستم حكام الشام ولا ملوكه، واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه، وهم رعاياكم

---

[٢٣٤] المصدر السابق، ص ٧-٨.

[٢٣٥] انظر: موسى محمد يوسف: ابن تيمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص ٨٣.

[٢٣٦] ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٧.

[٢٣٧] موسى: ابن تيمية، ص ٨٤.

[٢٣٨] سورة الحج: الآية ٦٠.

[٢٣٩] ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٤، ص ١٥.

www.mtenback.com

وأنتم المسؤولون عنهم» وقَوّى جأشهم، وضمن لهم النصر هذه الكرة، فخرجوا إلى الشام، وفي الطريق أخذ يحرض السلطان على القتال، وبشره بالنصر، وجعل[٢٤٠] يحلف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم لمنصورون عليهم. فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

يا الله ما أعظم هذه الثقة بالله! إنّها ثقة المؤمن الصادق الظنّ في ربه القوي العزيز، فكأنه يستشف الغيب من ستار رقيق، و لم لا؟ والله لن يخلف وعده، وقد وعد في كتابه العظيم المؤمنين بالنصر إذ قال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٤١].

إن موقف ابن تيمية فيه من الشجاعة النادرة، وثبات الجنان، ما لو وُزِنَ بمواقف مئات الشجعان في ساحة الحرب ليرجح ولكان أثره أعظم، فقد استطاع أن يجمع شتات الأمة، ويحمي بلدًا كبيرًا، ويرد جيشًا جرارًا ملأ الدنيا رعبًا وفسادًا.

وكما قال الحافظ الذهبي في ترجمته له[٢٤٢]: «إن الله أحيا به الشام، بل والإسلام بعد أن كان ينثلم بتثبيت أولي الأمر، لما أقبل حزب التتار والبغي في خيلائهم، فَظُنّتْ بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشرأب النفاق، وأبدى صفحته».

شجاعة الرأي:

إن شجاعة الرأي لا تقل أهمية عن شجاعة الموقف، فكم من رأي سديد عاد بالفائدة والخير العميم على المجتمع! وكم من رأي صائب أنقذ المجتمع من هلاك ودمار محققين!

غير أن الإدلاء بالرأي وقوله، يحتاج إلى شجاعة وأي شجاعة! ويحتاج إلى جرأة شديدة للتصريح به، فقد يكون في الرأي غرابة يستنكرها بعضهم لقصر نظرهم، وقد

---

[٢٤٠] المصدر السابق، ص ٢٥-٢٦.

[٢٤١] سورة الروم: الآية ٤٧.

[٢٤٢] انظر: موسى: ابن تيمية، ص ٨٨.

www.mtenback.com

يكون فيه مخالفة لهوى آخرين، وربما يكون فيه ضررٌ وتعطيل لمصالح فريق ثالث، فكل هؤلاء يقفون في وجه صاحب الرأي، ويحاولون في شتى السبل ثنيه عن ذلك الرأي.

وهنا يبرز دور الشجاعة في الثبات على الرأي، والعزيمة على إمضائه، يقول الشاعر[٢٤٣]:

إذا كُنْتَ ذا رأْيٍ فَكُنْ ذا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدا

فلابدّ من العزيمة القوية في مواجهة الآخرين الذين يقفون معارضين لذلك الرأي، وأن يتحمل تبعات ذلك مهما كانت قاسية، ومؤلمة، لأن ذلك جهاد، بل هو أعلى درجات الجهاد، فقد سئل الرسول ﷺ: أيُّ الجهاد أفضل؟ فقال: «كلمة حق عند سلطان جائر»[٢٤٤].

وفي تاريخنا العربي الإسلامي قمم شامخة من الرجال الذين تشبّثوا بآرائهم بشجاعة عظيمة، وثبات راسخ ليس له نظير، وهمة صلبة لاتلين ولا تضعف أمام كل صنوف العذاب، وألوان العقوبات التي تصل أحيانًا إلى عقوبة الموت.

ومن أبرز أولئك الذين اشتهروا بشجاعة الرأي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، في محنة خلق القرآن المشهورة. وكان المأمون أول من تبنّى هذه المقولة بتأثيرٍ من بعض أعلام المعتزلة، فدعا الشيوخ والعلماء إلى الاستجابة لمذهبه في هذه المسألة، ومن أبى دعي إلى مناظرة[٢٤٥].

---

[٢٤٣] الحصري، إبراهيم بن علي: زهر الآداب، ضبطه وشرحه: زكي مبارك، وحققه: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ج ١، ص٢٥٧.

[٢٤٤] أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، ج٤، ص٥١٤، حديث رقم: ٤٣٤٤، والترمذي، في الفتن، حديث رقم: ٢١٧٥.

[٢٤٥] انظر: عبد الغني الدقر، أحمد بن حنبل: إمام أهل السنة، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ص ١٨١.

www.mtenback.com

وأمام هذا الجو استجاب أكثر العلماء لما أراده الخليفة، لأنهم أيقنوا أنه سيعامل من يخالفه الرأي بأقسى العقوبات وأشدها. ومن امتنع في بداية الأمر عن القول: بخلق القرآن أول مرة رجع فأجاب بذلك حين أعاد عليه القول، ولم يصمد في النهاية إلاّ أحمد بن حنبل[٢٤٦] ومحمد بن نوح. ثم توفي هذا الأخير، فلم يبق في الميدان إلاّ أحمد بن حنبل الذي وقف كالطود الشامخ، فقد سجن نحو سنتين، وجُلد جلدًا شديدًا، فما زاده ذلك إلاّ صمودًا وثباتًا وإصرارًا على رأيه.

لقد تمسك برأيه وتحمل في سبيله أقسى أنواع العذاب لأنه كان يرى أنه إذا استجاب إلى تلك المقولة، فسيكون ذلك إيذانًا بتعرض القرآن والإسلام إلى محنة لايعلم مداها إلا الله، وسيكون إيذانًا بأن يأتي جاهل أو ذو هوى، فيؤثر في الحاكم، فتصبح عقائد الناس تابعة لهوى الحكام ومن وراءهم من المنافقين والفجار والعابثين[٢٤٧]. وهذا هو معنى قول أبي جعفر الأنباري، الذي قال لابن حنبل[٢٤٨] في بداية المحنة: «أنت اليوم رأس. والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبَنّ بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعنّ خلق من الناس كثير».

ولهذا تمسك ابن حنبل برأيه، فلم يرهبه التهديد ولم يؤثر فيه العذاب الشديد، فاستمر في إصراره، والمجاهرة برأيه والتمسك به، وعندما دخل عليه عمه إسحاق، وهو في السجن فأخذ يحاجه في التقية، وينصحه بقبولها قائلاً له[٢٤٩]: «إن أصحابك قد

---

[٢٤٦] الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥، ص ١٩٣-١٩٤.

[٢٤٧] انظر: الدقر، أحمد بن حنبل، ص١٩٩.

[٢٤٨] الدومي، أحمد عبد الجواد، أحمد بن حنبل: بين محنة الدين ومحنة الدنيا، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص١١٥.

[٢٤٩] الدّومي، أحمد بن حنبل، ص١٢٠-١٢١.

www.mtenback.com

أجابوا، وقد أعذرت بينك وبين الله. وبقيت في الحبس والضيق. فقال الإمام أحمد: رحم الله الأولين، كانوا توضع المناشير على أجسامهم ويُشَقُّون، فلا يتأوهون»[٢٥٠]، ولما استمر عمه في نصحه قال قولته المشهورة: «إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل، فمتى يظهر الحق»؟.

نعم، فلولا ابن حنبل وأمثاله من عظماء الرجال الذين هم الكبريت الأحمر ندرة، لضاع الحق وطغى الباطل. قال علي بن المديني[٢٥١]: «أيدّ الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما: أبي بكر الصديق يوم الردّة، وأحمد بن حنبل في يوم المحنة».

رحم الله الإمام أحمد، لقد وقف موقفًا صامدًا كالطود العظيم، ودافع عن رأيه دفاعًا أين منه دفاع الفرسان في ساحات الوغى؟! فكسب حسن الثناء وطيب الذكر، كما قال بشر بن الحارث [٢٥٢]: «لقد أدخل الكير فخرج ذهبة حمراء».

وممن له القدح المعلى في شجاعة الرأي، والجرأة فيه وتحمل تبعاته بثبات وصبر؛ العز بن عبد السلام، فقد سئل أن يبديَ رأيه في كلام الله تعالى[٢٥٣]، أهو حرف وصوت، أم معنى قائم بذاته قديم أزلي؟ وكان الملك الأشرف، يقول: إنّه حرف وصوت، والعز يعلم بذلك، فلما جاءه السؤال قال: هذه فتيا كتبت امتحانًا لي، والله لا أكتب فيها إلاّ ماهو الحق.

---

[٢٥٠] أصل هذا القول حديث شريف أخرجه البخاري في صحيحه عن خبّاب انظر البخاري: صحيح البخاري، ص٧٣٠-٧٣١، رقم (٣٨٥٢).

[٢٥١] ابن أبي يَعْلى، الحسين بن محمد: طبقات الحنابلة، دار المعرفة، بيروت ج١، ص ١٣.

[٢٥٢] المصدر السابق.

[٢٥٣] انظر: الوهيبي، عبد الله إبراهيم: العز بن عبد السلام: حياته، وآثاره، ومنهجه في التفسير ط٢ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٥٥.

www.mtenback.com

فكتب عقيدته المشهورة بـ (ملحة الاعتقاد)[٢٥٤] بين فيها أن كلام الله معنى قائم بذاته، قديم أزلي، وليس بحرف وصوت. ومن قال إنّه حرف وصوت فإنّه مخطئ ومبتدع.

فلما قرأها الأشرف غضب عليه، وكتب إليه جوابًا عنها. فرد عليه العز، فاشتد غضبه[٢٥٥]. وعزله عن الفتيا، ووضعه تحت الإقامة الجبرية في بيته، ومنع الناس من الاجتماع به. ولما جاءه الوزير وأخبره بقرار السلطان، لم يضعف أو يستكين أو يتراجع عن رأيه، بل ازداد تمسكًا به وأظهر فرحه وسروره بذلك، ولما أخبر الوزير السلطان برد فعله قال السلطان لمن حوله[٢٥٦]: قولوا لي ما أفعل به، هذا رجل يرى العقوبة نعمة، اتركوه بيننا وبينه الله.

وعندما تبيّن للسلطان فيما بعد أن الحق مع الشيخ، بعث إليه من يسترضيه، ثم كان فيما بعد ذلك يستشيره، ويأخذ بآرائه [٢٥٧].

ومن مواقفه العظيمة، وشجاعته في إبداء الرأي وقول الحق، أن الصالح إسماعيل حاكم دمشق[٢٥٨]، سلّم الصليبيين صيدا والشقيف وصفد وحصونًا أخرى، وسمح لهم بدخول دمشق وشراء الأسلحة منها، فغضب الشيخ، ورأى أن بيع الأسلحة للفرنج محرم، فقال لصناع الأسلحة وتجارها[٢٥٩]: «يحرم عليكم مبايعتهم، لأنّكم تتحققون أنّهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين».

---

[٢٥٤] الوهيبي: العز بن عبد السلام، ص٥٥.

[٢٥٥] السبكي، عبد الوهاب بن علي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، مطبعة ومكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ج٨ ص٢٣٥-٢٣٦.

[٢٥٦] المصدر السابق، ص ٢٣٦.

[٢٥٧] الوهيبي، العز بن عبد السلام، ص ٥٦.

[٢٥٨] السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص ٢٤٣.

[٢٥٩] المصدر السابق.

www.mtenback.com

ولم يكتف بذلك بل أخذ يعرض بالصالح إسماعيل في خطبه فغضب السلطان، وأمر باعتقاله[٢٦٠]، ثم أفرج عنه، فخرج إلى بيت المقدس متوجهاً إلى مصر، وفي بيت المقدس أرسل إليه الصالح إسماعيل من يفاوضه، وعُرض عليه أن يعتذر إلى السلطان ليعود إلى مناصبه، فلم يقبل، فقال له الرسول[٢٦١]: «إذن فقد أمر الملك باعتقالك. فقال: افعلوا مابدا لكم، فاعتقل، وظل في الاعتقال حتى جاءت الجيوش المصرية وهزمت الفرنج، وأفرج عن الشيخ فاتجه إلى مصر.

وهناك في مصر كانت له مواقف مشهورة جهر فيها برأيه بكل شجاعة. وتعرض للخطر، وهُدّد بالموت فلم يتراجع عن رأيه بل أصرّ عليه، من ذلك رأيه في قضية المماليك[٢٦٢] الذين اشتراهم الملك نجم الدين ودفع ثمنهم من بيتِ مال المسلمين، ثم أخذوا يتصرفون وكأنّهم أحرار، فرأى أن يُباعوا، ويوضع ثمنهم في بيت المال، ثم يحصل عتقهم بطريق شرعي.

فلما ذاع هذا الرأي، غضبوا غضباً شديداً، وقالوا كيف يبيعنا هذا الشيخ. ورفعوا الأمر للملك فغضب[٢٦٣]، وقال: هذا ليس من اختصاصه ولاشأن له به.

وعندئذ قرر الشيخ الرحيل من مصر، وحمل أمتعته وتوجه إلى الشام[٢٦٤]، ولما علم الملك، خرج بأثره وترضاه وأعاده ووعده بالأخذ برأيه، غير أن نائب السلطنة، كان قد حاول أن يترضاه ليثنيه عن رأيه، فلم يفلح، وعندئذ قرر التخلص منه بالقتل[٢٦٥]، فذهب هو وجماعة من المماليك إلى بيت الشيخ، فطرق النائب بابه وهو

---

(٢٦٠) السبكي: طبقات الشافعية، ج٨، ص٢٤٣.

(٢٦١) المصدر السابق، ص ٢٤٤.

(٢٦٢) الوهيبي: العز بن عبد السلام، ص٦٣ - ٦٤.

(٢٦٣) المصدر السابق نفسه،

(٢٦٤) المصدر السابق.

(٢٦٥) المصدر السابق.

www.mtenback.com

شاهر سيفه، والشرر يتطاير من عينيه غضبًا، وعندما خرج عليهم الشيخ بكل قوة وثبات وشجاعة، ارتعدت مفاصل النائب خوفًا وذعرًا من شدة هيبة الشيخ وشجاعته، فوقع السيف من يده، ووقف متخاذلاً صغيرًا أمامه، وقال له الشيخ[٢٦٦]: لابدَّ من بيعكم.

وعندئذ لم يجدوا مندوحةً من تنفيذ رأي العز، فبيعوا[٢٦٧]، وردَّ ثمنهم على بيت مال المسلمين.

لقد كان الموقف حرجًا خطرًا، فزع منه الناظر والشاهد، حتى إن ابن الشيخ لما رأى نائب السلطان شاهرًا سيفه، أسرع إلى والده مرتاعًا وقال له[٢٦٨]: انج بنفسك إنه القتل.

لكن العز ظل ثابت الجنان رابط الجأش، لم يخش ولم يفزع، وأبى في ذلك الموقف الحرج إلاّ أن يعلن مايراه الحق صريحًا قويًا بلا مواربة أو تقية، غير مبال بما يواجهه من محن وبلاء.

إن هذه الشجاعة النادرة مردّها إلى أن الشيخ ساوى بين الحياة والموت ولم يساو بين الحق والباطل. فكسب بذلك قوة عظيمة لاتعادلها قوة، وجرأة عالية أين منها جرأة الأسود؟!

شجاعة القرار:

إن شجاعة القرار ترتبط ارتباطًا وثيقًا بشجاعة الرأي، حتى إنه يمكننا القول: إن شجاعة القرار ما هي إلا التطبيق العملي لشجاعة الرأي.

---

[٢٦٦] الوهيبي: العزيز بن عبد السلام، ص٦٤.

[٢٦٧] المصدر السابق نفسه.

[٢٦٨] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

إن الإنسان الواعي القادر هو الذي يدرس موضوع القرار أو مشروعه بحكمة وروية وعقل نيّر، ويُقلّبه على وجوهه المحتملة ويستشير المخلصين العاقلين، وعندما يتبين له صحته وصوابه، ويقتنع بجدواه اقتناعاً تاماً فإنه يقدم على تنفيذه بحزم وجرأة وشجاعة، بعد أن يجمع طاقاته ويتحين الفرص السانحة، ثم يعزم على إمضائه متوكلاً على الله تعالى. وقد نبه القرآن إلى هذه الظاهرة الخلقية في اتخاذ القرار، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٢٦٩].

فالبت في الأمور بحزم واتخاذ القرار المناسب بجرأة، من الفضائل الخلقية التي ينبغي للإنسان العاقل أن يتخلق بها، وكان يقال[٢٧٠]: «رَوٍّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم».

أما الإنسان الضعيف الخائر القوى، فإنّه يبقى متردداً يقدّم رجلاً ويؤخر أخرى، لايمتلك الشجاعة في الإقدام على اتخاذ قراره، ويبقى خائفاً من العواقب، فهو دائماً حائرٌ بائرٌ لايعرف طريق الرشاد. يترك الأحداث تبادره ولايبادرها بتخطيط وترتيب واستعداد، وإذا ما ضاعت الفرصة أخذ يعاتب الأيام والدهر. كما قال الشاعر[٢٧١]:

وَعاجِزُ الـرَّأْيِ مِضْيـاعٌ لِفُرْصَتِـهِ حَتّى إِذا فاتَ أَمْرٌ عـاتَبَ القَـدَرا

فيظل دائم الشكوى، يصبُّ جام غضبه على الأحداث والظروف، ويبقى نادماً والغصة في حلقه مدى العمر، ولو أنصف للام نفسه وأنبّها. يقول ابن المعتز[٢٧٢]:

---

[٢٦٩] سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

[٢٧٠] ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج١، ص ٩١.

[٢٧١] المصدر السابق.

[٢٧٢] الحصري: زهر الآداب، ج١، ص ٢٥٧.

www.mtenback.com

كَمْ فُرْصَةٍ ذَهَبَتْ، فَعَـــادَتْ غُصَّـــةً تُشْـــجِي بِطُـــولِ تَلَهُّـــفٍ وَتَنَـــدُّمِ

فالشجاعة في اتخاذ القرار أمر بالغُ الأهمية وقيمة خلقية نبيلة، يتغلب الإنســـان على مثبطات نفسه وهواجسه، وخوفه من المستقبل، فيشق طريقه في الحياة بنجـــاح ليحيا حياة كريمة سعيدة.

وألزم ما تكون الشجاعة في اتخاذ القرار للمسؤولين على مختلف مستوياتهم ومن بيدهم اتخاذ القرارات العامة، لأن الفائدة تعود على الجميع والضَررُ يشـــمل عامـــة الناس.

فأبرز صفات من بيده اتخاذ القرار الشجاعة والجرأة في إصدار القرارات المناسبة، لأن هناك جملة من الأمور تواجه تنفيذ القرار، فيجب على صاحب القرار أن يتمتـــع بشجاعة نادرة وجرأة استثنائية لمواجهة تلك الأمور. فقد يكون في القرار خروج علـــى المألوف، أو فيه خروج على اللوائح والروتين، وقد يكون فيه ضرر لبعضهم فيحـــاول تعطيله، وربما لايريد صاحب القرار تحمل تبعاته.

ومن هنا لابدَّ من الشجاعة في الخروج على المـــألوف الـــذي اعتـــاده النـــاس ومواجهة المتضررين، وتحمل النتائج مهما كانت.

ولكن اتخاذ القرار لايكون مرتجلاً أو نتيجة نزوةٍ ما، بل يكون بعد دراسة عميقة ومستفيضة لمشروع القرار، وبعد استشـــارة المختصين المخلصين وأخذ آرائهم، فإذا ماثبت جدواه وصحته وأن فيه الخير والفائدة للمجتمع، أُقدم على تنفيذه بعزم وحـــزم وتصميم.

ومن يدرس التاريخ يجد أمثلة رائعة على الشجاعة في اتخاذ القرار، ومـــن أبـــرز تلك الأمثلة، القرار الذي اتخذه أبوبكر، في حرب المرتدين، وذلك أنَّه بعد وفاة الرسول

www.mtenback.com

ﷺ ارتدت أحياء كثيرة من العرب، حتى قيل[٢٧٣]: ارتدت العرب ما خلا أهل المسجدين: مكة والمدينة. وامتنعوا عن دفع الزكاة، ونجم النفاق بالمدينة وعظم الخطب واشتدت الحال، حتى قالت عائشة رضي الله عنها [٢٧٤]: «لو نزل بالجبال الراسيات مانزل بأبي بكر لهاضها، اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب».

في هذه الحالة الحرجة والموقف المضطرب أشار بعض الصحابة الكرام على أبي بكر أن يتركهم وماهم عليه من منع الزكاة، ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، حتى إن عمر رضي الله عنه المعروف بشدة بأسه، كان من رأيه عدم مقاتلتهم[٢٧٥]. لكن أبا بكر، كان ينظر إلى بعيد، وأنّه إذا ماتركهم على ماهم عليه سيعودون كفاراً ويرجع الشرك والكفر إلى جزيرة العرب، ولن تقوم للإسلام دولة. ولذلك بلغ من عزيمته وعظيم رأيه أن قرر النهوض إلى قتالهم وردهم إلى حظيرة الدين بجرأة وشجاعة، فقال[٢٧٦]: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنّهم على منعه. إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة».

فكان في قراره الخير للإسلام والمسلمين، فقضي على زعماء المرتدين وعاد الناس إلى جادة الحق والدين، فعَزَّ الإسلام وانتشر.

قال عمر رضي الله عنه[٢٧٧]: «فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنّه الحق».

---

[٢٧٣] ابن كثير: البداية والنهاية، ج٦، ص ٣١٢.

[٢٧٤] الذهبي، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام، وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدسي، القاهرة، (١٣٦٧هـ)، ص٣٥٠.

[٢٧٥] المصدر السابق.

[٢٧٦] ابن كثير: البداية والنهاية، ج٦، ص ٣١١.

[٢٧٧] الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص ٣٤٩-٣٥٠.

www.mtenback.com

ومن القرارات الشجاعة والجريئة التي أصدرها الصديق رضي الله عنه جمعه للقرآن الكريم في المصحف[٢٧٨]، بإشارة واقتراح من عمر رضي الله عنه خوفًا من ضياع شيء من القرآن الكريم بعد مقتل عدد كبير من حملة القرآن في اليمامة. وفي البداية تحرج أبو بكر من اتخاذ هذا القرار الخطير قائلاً [٢٧٩]: «كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟» وبعد مراجعة الأمر مع عمر بن الخطاب شرح الله صدره له ورأى فيه وجه الصواب وأن فيه الخير. فلما تيقن من ذلك عزم على جمعه وكلف زيد ابن ثابت رضي الله عنه بهذه المهمة الجليلة[٢٨٠]. فقام بها على أكمل وجه وأتمه، فحصل بذلك الخير كله، وحُفظَ القرآن الكريم، فكان في هذا القرار الجريء تحقيق لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢٨١].

إنَّ مثل هذا القرار الخطير يحتاج شجاعة فائقة، وجرأة نادرة، كيف لا؟ وهو يتعلق بأقدس المقدسات؛ كتاب الله العزيز الذي هو دستور المسلمين الخالد ومدار حياتهم وشؤونهم كلها.

وهو بحاجة إلى شجاعة لأن فيه إقدامًا على عمل بكر لم يسبق أحد إليه، وفي هذا كل الخوف والحذر، وقد عبر عن هذا الخوف والحذر زيد بن ثابت عندما قال[٢٨٢]: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان بأثقل عليَّ منه».

ومن هذا الباب مافعله خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة مؤتة، وذلك أن جيش الكفار كان يفوق جيش المسلمين أضعافًا كثيرة عددًا وسلاحًا، وأبلى المسلمون

---

[٢٧٨] السجستاني، عبد الله بن أبي داود سليمان: الأشعث، المصاحف، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٢-١٣.

[٢٧٩] المصدر السابق، ص ١٣.

[٢٨٠] المصدر السابق.

[٢٨١] سورة الحجر: الآية ٩.

[٢٨٢] السجستاني: المصاحف، ص ١٣.

www.mtenback.com

بلاءً حسنًا وقاتلوا قتال الأبطال، واستشهد قادة الجيش الثلاثة، زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم جميعًا[٢٨٣]، ثم اصطلح المسلمون على أن يولوا قيادة الجيش خالد بن الوليد[٢٨٤]، فرأى بخبرته العسكرية وتجربته القتالية أن الاستمرار في المعركة يعني الانتحار، ولذلك اتخذ قراراً في غاية الشجاعة وهو الانسحاب من المعركة وإنقاذ البقية المتبقية من الجيش المسلم. ولما قفلوا راجعين إلى المدينة استقبلهم الناس وهم يحثون التراب في وجوههم[٢٨٥]، ويقولون: يا فُرّار يا فُرّار! ولكن الرسول ﷺ أدرك عظم المهمة وخطر الموقف وشجاعة القرار في الانسحاب، فكان يقول[٢٨٦]: «ليسوا بالفرّار ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى».

إنّ قرار الانسحاب الذي اتخذه خالد رضي الله عنه في غاية الجرأة والشجاعة، فقد كان فيه إنقاذ جيش كامل، ولا أدلّ على شجاعة هذا القرار من قول الرسول ﷺ[٢٨٧]: «متى أخذ الراية سيف من سيوف الله، خالد بن الوليد، فعاد بالناس»، فمن يومئذ سمي خالد سيف الله[٢٨٨].

لقد لقب بهذا اللقب العظيم مكافأة على شجاعته في اتخاذ هذا القرار العظيم، وليس مكأفاة على شجاعة قتالية في ساحة المعركة وانتصار فيها ولكنه لحكمة القرار وصوابه.

---

[٢٨٣] البخاري: صحيح البخاري، ص ٨٠٦.

[٢٨٤] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص ٢٣٨.

[٢٨٥] المصدر السابق.

[٢٨٦] المصدر السابق.

[٢٨٧] البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، ج٥، ص٨٦.

[٢٨٨] المصدر السابق

www.mtenback.com

شجاعة الإرادة:

إن شجاعة الإرادة وقوتها خلق محمود وفضيلة كبرى، لأنها حصن حصين وحاجز منيع ضد كلّ عوامل الانحراف والتثبيط داخل النفس البشرية، فشجاعة الإرادة ماهي إلاّ التغلب على نزعات النفس، وكبح جماحها وردع أهوائها، وهي القدرة على ضبط شهوات النفس ومنع جنوحها إلى مهاوي الردى والمهالك، من أجل ترويضها لتغليب عناصر الخير على عناصر الشر. وقد أشار المنهج الرباني إلى ضرورة قوة الإرادة وشجاعتها في مجاهدة النفس وتهذيبها للتخلص من كلّ نوازع الشر والفساد، فقال جل من قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢٨٩].

فالفلاح والنجاح في تزكية النفس وتخليصها مما يدنسها من نوازع الشر ، وفي ضبطها بقوة والسيطرة عليها بشجاعة. والخيبة والخسران لمن ضعفت إرادته أمام نفسه، فانساق وراء شهواتها ورغباتها المنحطة. جاء في بدائع السلك[٢٩٠]: «الشجيع كلُّ الشجيع، من وهبه الله ملكة يقدر بها على قهر أعدى عدو له، وهو نفسه، فمن ملكها وصرفها حيث أوجب الشارع - إحجاما وإقداما - فذلك هو الشجيع، لا من يتصبر، فهو مصرّ على محاله مرتكبٌ أهواءه وضلاله فيما يراد به ويرام، صبور على التعب والآلام، كما في الأخلاق الجاهلية، فإن هذا من صفات الحمير والخنازير».

ومن شجاعة الإرادة، التغلب على مخاوف النفس وهواجسها، وقهر أوهامها ومن قوة الإرادة تحصين النفس ضد المخاوف المتخيلة التي ليس لها وجود في دنيا

---

[٢٨٩] سورة الشمس: الآيات ٧-١٠.

[٢٩٠] ابن الأزرق: بدائع السلك، ج١، ص ٤٠٩.

www.mtenback.com

الواقع، ولتلك المخاوف والأوهام أثر كبير في ضعف النفس وخورها وجبنهـا، فقـد قيل[٢٩١]: «إنّه ليس لدينا مانخافه سوى الخوف ذاته».

فلا مندوحة للإنسان السوي عن الشجاعة النفسية للتخلص من تلك المخاوف المزعومة، ومواجهة الحياة بقوة وتفاؤل.

لكن شجاعة الإرادة وقوتها لاتكون خلقًا محمودًا إلاّ إذا كانت مقرونة بالعلم والعقل والحكمة، وإلاّ كانت سلاحًا خطيرًا ضارًا لأنها تكون مصيبة على صاحبهـا وعلى كلّ من يرتبط به أو يخضع له. إنَّ هذه الإرادة قد تدفع إلى التهلكـة وأنـواع المصائب، وقد تحمل صاحبها ومن يلوذ به من التكاليف والمشاق ما لا طاقة لهم بـه، وقد تدفع بهم إلى المآزق الكبرى الجسدية والنفسية وترمي بهم في المخاطر[٢٩٢].

فقوة الإرادة المقترنة بالعقل والحكمة، ترتقي بالإنسان إلى مراتب عليا في سُـلَّم القيم الإنسانية، فلا ينقاد وراء شهواتها ونزواتها، بل يروضها للانقياد بهـدي عقلـه وحكمته، فتنمو لديه فضائل الجد والحزم والنظام في الأعمال كلها.

ومن شجاعة الإرادة ألا ينقاد المرء للجلساء وأصحاب المنافع أو الشهوات التي تخل برجولته أو كرامته أو مروءته، ولا يطيعهم وإن كانوا أصدقاء أو زملاء أو مرافقين في حضر أو سفر، بل يستعمل إرادته القوية بسمو أخلاقه وترفعه عمَّا يشينه أو يعيبـه، ولو فعل العيب كل من معه ومن حوله، ولعل شجاعة الإرادة هي الشجاعة الحق لأنها تبرز خصائص النفس أمام ضغط الواقع الاجتماعي، فيقرى المرء على كل الناس لأنـه إذا قوي على نفسه قويت في جبلته الكرامة العربية والشهامة، فلا يلين ولا يضعف ولا يساوم على مايمس شرفه، وتلك خصائص العربي الأبي التي لايتخلى عنها ولا يقبل بها بديلاً.

---

[٢٩١] دوروثي طومسون: شجاعة السعادة، ترجمة: تماضر توفيق، مؤسسة الخـانجي، القـاهرة، (١٩٥٩م)، ص١٧٣.

[٢٩٢] انظر: الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج٢، ص ١١٧-١١٨.

www.mtenback.com

إن للشجاعة أهمية قصوى، ودورًا خطيرًا في حياة الفرد والمجتمع، فمن حُرم الشجاعة، حُرم الخير العميم والعز العريض، وعاش حياة الذّل والهوان، والخوف والقلق، فيكون المجتمع تبعًا لذلك مجتمعًا هشًا ضعيفًا متهلهلاً، ويصبح طعمة سائغة لكل طامع أو غازٍ، سواء أكان غزوًا عسكريًا أو فكريًا وهو الأخطر والأدهى.

ومع هذه الأهمية العظمى للشجاعة فإنها خطرة كل الخطر، إذا لم توجه التوجيه الصحيح والسليم. فالشجاعة المحمودة هي التي تكون مجنًّا منيعًا لدفع الظلم والجور والطغيان، وسيفًا مشهورًا دفاعًا عن الحق والعدل، والفضيلة والمروءة والكرامة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ... الآية﴾	١٥٤	٢٠
	﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ... الآية﴾	٢٥١	١٩
آل عمران	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ... الآية﴾	١٤٤	٦٩
	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ... الآية﴾	١٥٩	٧٩
	﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا.. الآية﴾	١٦٩	٢٠، ٣٠
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا الآية﴾	٢٠٠	٤٢
النساء	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ... الآية﴾	٧٨	٢٦
الأنفال	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا... الآية﴾	١٥-١٦	٣٠
	﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا... الآية﴾	٦٥	٤٢
	﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا.. الآية﴾	٦٦	٤٢
التوبة	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ.... الآية﴾	٢٤	٣٧
	﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا... الآية﴾	٥١	٥٢
	﴿اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ... الآية﴾	١١١	٣٠
الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ... الآية﴾	٩	٨٢
النحل	﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً... الآية﴾	٦١	٢٦
الحج	﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ... الآية﴾	٣٩	١٩
	﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ... الآية﴾	٤٠	١٩
	﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ... الآية﴾	٦٠	٧١
الروم	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ... الآية﴾	٤٧	٧٢
الزخرف	﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ... الآية﴾	١٨	٨
الشمس	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا... الآية﴾	٧-١٠	٨٤

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا»	٤٩
«ألا إن القوة الرمي»	٤٩
«إنّ في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين...»	٣١
«الحرب خدعة»	١٠
«شرّ ما في رجل شح هالع، وجبن خالع»	١٥
«قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»	٣٣
«كلمة حق عند سلطان جائر»	٧٣
«مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله»	٣١
«من علّم الرمي، ثم تركه، فليس منا، أو قد عصى»	٤٩
«والذي نفسي بيده، لا يُكلم أحد في سبيل الله...»	٣١
«الولد مجبنة مبخلة».	٥١

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ء ـ		
وكنت	غطاءها	قيس بن الخطيم	٢	٣٦
ليس	الأحياءِ	عدي بن رعلاء	٢	٣٦
		ـ ب ـ		
أرى	حبّا	المتنبي	٢	٢٥
يفرُّ	لا يناسبُه	ـ	١	٤٤
إذا ما التقينا	ذنوبُها	ـ	١	٥٩
ولم تنطق	عُرْبُ	ـ	٢	٦٣
إن الحمامين	عشب	أبو تمام	١	٢٤
إذا فرونا	المناكبِ	قيس بن الخطيم	٢	٦٦
		ـ ت ـ		
يا نفس	تموتي	عبد الله بن رواحه	٤	٢٨
وقد	ثبتْ	ـ	١	٢٣
		ـ ج ـ		
قل للجبان	ناجي	جرير	١	٢٨
		ـ ح ـ		
أبَت	الربيح	عمرو بن الإطنابة	٤	٣٩
		ـ د ـ		
لسنا	يحصدا	الأعشى	١	٤٨
إذا كنت	ترددا	ـ	١	٧٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فطاعنت	أسودُ	دريد بن الصمة	٢	٣٠
وكلٌّ	قائد	المتنبي	١	٤٤
إذا صوت	الشدائدِ	—	١	١٦
إذا القوم	أتبلدِ	طرفة	١	٥٨
الله يعلم	مزبدِ	الحارث بن هشام	٣	٦٥
يجود	الجودِ	مسلم بن الوليد	١	٥٩
— ر —				
ضعيف	والمنظرْ	—	٢	١٦
أي يومي	قدرْ	—	٢	٢٧
فما أخر	القدرْ	—	١	٢٧
بكى	اكفهرْ	—	٤	٣٩
أخو الحرب	شمرا	—	٢	٦٠
وعاجز	القدرا	—	١	٧٩
وأنبأته	فيعذر	عامر بن الطفيل	١	٣٨
فأنبت	الحشرُ	أبو تمام	٢	٥٧
لبدي	حجرُ	الحريش بن هلال القريعي	٤	٥٩
ترى	هصورُ	كثير عزة	٣	١٧
يمشي	تطيرُ	داود الواسطي	١	٦٢
ولقد أجمع	لفرورُ	عمرو بن معد يكرب	٣	٦٥
هم يمنعون	نسرِ	—	١	٤١
وابن كريه	من الذكرِ	—	١	٢٦
الموقدون	الحضرِ	المعري	١	٤٨
ويومٍ	الجمر	نهشل بن حرمة صخرة	٢	٤٣

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ س ـ		
أجاعلة	عبسِ	عمرو بن معد يكرب	٥	٦٥
		ـ ع ـ		
وليس	أخضعا	هدبة بن خشرم	٤	٦٢
وعلمت	الأسرعُ	ـ	٤	٢٩
ومغيرةٍ	ومقنعُ	ـ	٤	٤٠
أقول لها	لن تراعي	قطرى بن الفجاءة	٥	٢٨
		ـ ف ـ		
ولقد علمت	الحتوفِ	أبو دلف	٢	٣٨
لقد زاد	الضعافِ	ـ	٣	٥١
		ـ ق ـ		
وإنّا	نذوقها	ـ	١	٥٥
نصل	تلحقِ	كعب بن مالك	١	٦١
		ـ ك ـ		
إذا حاص	فاتك	تأبط شرًا	٢	٥٩
		ـ ل ـ		
أكان	الأجلْ	ـ	٢	٢٧
يا بن زيد	ذليلا	ـ	٢	٣٧
أذلٌّ	وبيلا	ـ	٢	٣٥
ذكر	أشغالُ	ـ	١	٢٦
هم القوم	وأجزلوا	مروان بن أبي حفصة	٢	٤١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
كأن نفسك	مفضال	المتنبي	٢	٣٥
يستعذبون	قتلوا	—	١	٥٥
ما علتي	نابلُ	رجل من بني ناشب	٧	٤٥
وما مات	قتيلُ	السموءل	٢	٥٥
ولا تلتمس	عواذلُه	حارثة بن بدر	٢	٦١
إذا قصرت	فتطولُ	—	١	٦١
فتعانق	الأطحلَ	العباس بن مرداس	١	٦١
كتب	الذيولِ	—	١	٨
لا تسقني	الحنظل	عنترة	١	٣٥
بكرت	بمعزلِ	عنترة	٤	٢٩
— م —				
ولسنا	الدّما	حسان بن ثابت	١	٥٥
تأخرت	أتقدما	الحصين بن الحمام	١	٢٤
أبوا	سلّما	امرأة من كندة	٢	٣٨
ولما رأينا	مظلما	الحصين بن الحمام	٢	٤٣
جرى	قديمُ	—	٢	٩
حولي	خضمُ	طريف بن مالك	١	٧
كذبتم	قائم	عمرو بن براقة	٢	٣٦
أثني	أظلم	عنترة	٢	٣٤
إياك	العلقم	—	٣	٣٤
ومدجج	مستسلم	عنترة	٢	٥٨
كم فرصة	وتندمِ	ابن المعتز	١	٨٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
نعرّض	للطامِ	الجحاف بن حكيم	١	٣٦
وكلٌّ	الحكيم	المتنبي	١	١١
وزادني	ذوو الرحم	—	٢	٥١
	— ن —			
غير أنّ	الهوانا	المتنبي	١	٣٥
ولو أنّ	الشجعانا	المتنبي	٢	٢٦
شجاع	فجبانُ	—	١	١١
لا تكن	شؤونُ	عمرو بن حلزة	١	٦٢
إذا استنجد	مكانِ	—	١	٥٨
مقاديم	يمانِ	ودّاك بن ثميل المازني	١	٦١
الرأي	الثاني	المتنبي	٣	١٠
وابن دعوتهم	بالفرسان	—	١	٥٨
	— هـ —			
أنا الذي	الحرّه	عبد الله مطيع العدوي	٤	٦٤
نهين	أوقى لها	الخنساء	١	٢٣
	— ي —			
إذا القوم	الفتى	متمم بن نويرة	١	٥٨
ونحن	غواشيا	عنترة	٢	٤٠
أيذهب	بلائيا	زخر بن الحارث	٢	٦٤

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

الحديث	الصفحة
«احرص على الموت توهب لك الحياة»	٢٢
«أناة في عواقبها فوت، خير من عجلة في عواقبها دَرَك»	١٣
«إنّ المقاتل وراء الفارين، كالمستغفر وراء الغافلين»	٥٦
«بقية السيف أنمى عددًا، وأطيب ولدًا»	٢٤
«تخليد الذكر في الكتب عمر لا يبيد، وهو كلّ يوم جديد»	٢٦
«روُ بحزم، فإذا استوضحت فاعزم»	٧٩
«الشجاعة عز، والجبن ذل»	٥٢
«الشجاع مُوَقّى، والجبان مُلقّى»	٢٢
«الشجاع محبب حتى إلى عدوه»	٥٢
«الشجاعة وقاية، والجبن مقتله»	١٤
«ضربة بسيف في عزّ، خير من لطمة ذل»	٣٦
«لا مجد أسرع من مجد السيف»	٣٣
«من استشعر حبّ البقاء، استكثر الذلّ إلى الفناء»	٣٧
«المنية ولا الدنية»	٣٧
«النصر مع الصبر»	٤١

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

الأبشيهي، محمد بن أحمد بن منصور:

المستطرف في كلّ فن مستظرف، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

الأبهري، عبيد الله بن محمد بن شاهمردان:

حدائق الأدب، تحقيق: محمد سليمان السديس، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

ابن الأثير، علي بن أبي المكارم:

الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

ابن الأزرق، محمد بن الأزرق الأندلسي:

بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب:

الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.

الأعشى، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

الألباني، محمد ناصر الدين:

صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٢ ١٣٩٩هـ/١٩٩٧م.

www.mtenback.com

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

البيهقي، إبراهيم بن محمد البيهقي:

المحاسن والمساوئ، قدم له وحققه: محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت.

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

شرح ديوان أبي تمام، ضبط معانيه: إيليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨١م.

تليش، بول:

الشجاعة من أجل الوجود، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الثعالبي، عبد الله بن محمد:

اللطائف والظرائف، دار المناهل، بيروت، د.ت.

الجرجاني، علي بن محمد:

التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الرّيان للتراث، القاهرة.

الجندي، عبد الحليم:

أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح والإسلام، دار المعارف، القاهرة.

الحصري، إبراهيم بن علي:

زهر الآداب، ضبطه وشرحه: زكي مبارك وحققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت.

www.mtenback.com

الحمامي، مصطفى أبو سيف:

شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ابن حمدون، محمد بن الحسن:

التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:

مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٦، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث:

سنن أبي داود، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

الدقر، عبد الغني:

أحمد بن حنبل أمام أهل السنة، دار القلم، دمشق، بيروت ط١ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

الدومي، أحمد عبد الجواد:

أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:

تاريخ الإسلام، وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٦٧هـ.

www.mtenback.com

الزمخشري، محمود بن عمر:

ربيع الأبرار، ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد.

السبكي، عبد الوهاب بن علي:

طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، مطبعة ومكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١.

السجستاني، عبد الله بن أبي داود سليمان الأشعث:

المصاحف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الشيزري، عبد الرحمن بن عبد الله:

المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير:

تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

طرفة بن العبد:

ديوان طرفة، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

طومسون، دورثي:

شجاعة السعادة، ترجمة: تماضر توفيق، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٩م.

عامر بن الطفيل:

ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.

www.mtenback.com

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد:

العقد الفريد، شرحه وضبطه: أحمد أمين وزميلاه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

عنترة بن شداد:

ديوان عنترة، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ديوان عنترة بن شداد، دمشق، تحقيق: بدر الدين حاضري، ومحمد حمامي، ودار الشرق، بيروت، حلب، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس:

معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٦٨هـ.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب:

القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الفيومي، أحمد بن محمد:

المصباح المنير، تحقيق: عبد العظيم الشتاوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

القالي، أبو علي، إسماعيل القاسم:

الأمالي، مراجعة لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم:

عيون الأخبار، شرح وضبط: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت.

www.mtenback.com

القرطبي، يوسف بن محمد النمري:

بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

كثيّر عزّة:

ديوان كثيّر عزة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ابن كثير، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر:

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، ط١ ١٩٦٦م.

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد:

الكامل في الأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين:

ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح: العكبري، ضبطه وصححه: مصطفى السقا ورفيقاه، دار المعرفة، بيروت.

المعري، أبو العلاء، أحمد عبد الله بن سليمان:

شرح سقط الزند، لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت.

موسى، محمد يوسف:

ابن تيمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

www.mtenback.com

الميداني، عبد الرحمن بن حبنكة:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف:

رياض الصالحين، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام:

السيرة النبوية، حققها: مصطفى السقا ورفيقاه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ط٢ ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

الوهيبي، عبد الله بن إبراهيم الوهيبي:

العز بن عبد السلام، حياته وآثاره، ومنهجه في التفسير ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com